



مع زايد

ذكریات یرویها
حمد بن محمد الشرقي





صدر هذا الكتاب عن



المكتب الإعلامي
THE MEDIAOFFICE
حكومة الفجيرة Government of Fujairah

media.fujairah.ae

الطبعة الأولى: 18/9/2025

«إن حقوق النشر والطبع محفوظة لصالح المكتب الإعلامي لحكومة الفجيرة، لذا يمنع نشر أو بث
لأي من محتويات الكتاب إلا بموافقة رسمية مسبقة.»





المقدمة





الرجال العظماء يصنعون التاريخ

بقلم:

سمو الشيخ محمد بن حمد الشرقي
ولي عهد الفجيرة

الحمد لله الذي يهب الرجال من طينة نادرة، فيجعل منهم قادة
تتجسّد فيهم قيم العدل والرحمة، وتسمو بهم الأوطان إلى
مدارج العزّة والمجد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خير
من مضى وخير من اقتدى.

ولعل الحديث عن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب
الله ثراه، ليس حديثاً عن رجلٍ وحسب، بل هو استدعاء
لزمانٍ من البطولة والكرم، وسفرٍ من الحكمة والعطاء،
ومشعلٍ من الإيمان والإنسانية. إنّه حديث عن أبٍ لأمة،
وبانٍ لدولة، وقائدٍ ألهم العالم بما قدّم من نموذجٍ فريد
في الحكم والقيادة، حتى غدا اسمه رديفاً للخير، وصورته





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مرآة للعزيمة الصادقة والإرادة التي لا تلين.

لقد شاءت الأقدار أن يمن الله على هذه الأرض الطيبة بشخصية وطنية عظيمة كشخصية الشيخ زايد طيب الله ثراه الذي عرف كرجل دولة بامتياز، غير أنه في عمق شخصيته كان إنساناً بكل ما تحمله الكلمة من صدقٍ ووفاء ولسنا فقط من كانوا يستشعرون بهذا الأمر بل كل من حوله لأن أبناء الإمارات كانوا جميعاً أولاده وهذه واحدة من حقائق بناء هذه الدولة .

لم تكن السلطة عنده غاية، بل وسيلة للعدل وإسعاد الناس. كان ينظر إلى المواطن بعين الأب، وإلى المقيم بعين الأخ، وإلى كل محتاج بعين الراعي الحاني. ولطالما شدد أن الثروة الحقيقية ليست النفط ولا المال، بل الإنسان، فهو أساس التنمية وغايتها، وهو البذرة والثمار.

اليوم ، أتشرف بأن اضع شهادتي في مقدمة هذه السيرة المفعمة بالذكريات التي صاغها الوالد صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي عضو المجلس الأعلى حاكم الفجيرة الذي يعتبر أحد أبرز الشاهدين على عصر المغفور له الشيخ زايد طيب الله ثراه ، وقد كان الوالد هو المرافق للشيخ زايد منذ أن كان أول وزير للزراعة في حكومة الاتحاد الاولى لذلك شهادته به وكلامه عنه رحمه الله هو تجسيد حي لتلك





العلاقة والمحبة التي جاءت على شكل ذكريات شيقة.

وأذكر أنني حين التقيت بالشيخ زايد طيب الله ثراه لأول مرة نظر إلي مطولا بعينين كلها محبة وطيبة وقال لي مرحبا ومهنئا بكلمات لن أنساها «يا ولدي يا محمد انت ابن الشيخ حمد استوي نفس أبوك».. كلمات ما زالت محفورة في ذاكرتي ولقاء يجعلني أشعر بالفخر بأنني من هذه البلاد الطيبة التي أرسى دعائمها رجل برجاجة عقله وسعة أفقه ، ومن عرف الشيخ زايد عن قرب، أدرك أنه كان يملك قلباً أوسع من الصحراء التي نشأ فيها، وعزيمة أصلب من صخور الجبال التي جاب أوديتها، ورؤية أبعد من المدى الذي تحمله الأبصار. كان يؤمن بالوحدة، لا كشعار يُرفع في المناسبات، بل كقدرٍ ينبغي السعي إليه، وكعهدٍ لا تكتمل الرسالة إلا به. وقد كانت تجربة اتحاد دولة الإمارات، التي قادها بروح مؤمنة وعزيمة صابرة، أعظم شاهدٍ على صدق رؤيته وحكمة قيادته.

وفي مجالسه العامة، التي لم تُغلق في وجه أحد، كنت ترى البدو والحضر، الشيوخ والشباب، الأغنياء والفقراء، يتحدثون ويستمعون، بينما يجلس بينهم زايد، القائد الحاكم، بلا حواجز ولا كلفة، يسمع للجميع، ويعطي لكل ذي حاجة حقه. ومن تلك المجالس تشرّبت دروساً لا تُنسى في معنى القرب من الناس، وفي فنّ الإصغاء، وفي قيمة التواصل الذي لا ينقص





من مقام صاحبه، بل يزيده مهابة ورفعته.

لقد ترك زايد في أنفسنا أثراً لا يزول، فهو الرجل الذي علّمنا أنّ القيادة ليست سلطة ولا هيبةً فحسب، بل هي رحمة ومسؤولية، وعدلٌ وصبر، وعطاء لا ينقطع. وكنا نراه في أشدّ الأوقات حرجاً، رابط الجأش، واثقاً من نصر الله، لا يتردد في اتخاذ القرار، ولا يتوانى في نصرته الحق. ولطالما قال لنا: «إنّ القائد الحقّ هو من يضع مصلحة الناس فوق مصلحته، ويجعل من سلطانه خادماً لرسالته في الحياة».

الشيخ زايد طيب الله ثراه لم يكن يُعجّب بالمديح ولا تغريه الألقاب، هذا ما كان ينقله لنا الوالد عنه بل كان يزداد خشوعاً وتواضعاً كلما سمع ثناءً، فيذكّر من حوله أنّ الفضل لله وحده، وأنّ الإنسان لا يُعرف بما يملك، بل بما يعطي. لقد كان الزهد سمة في حياته، حتى في أيام الدولة الزاهرة، لم يغيّر من سجايه الأولى، فظلّ بسيطاً في مأكله وملبسه ومجالسه، قريباً من الأرض التي أحبّها، ومن الناس الذين عاش من أجلهم.

إنّ ما سرده الوالد صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي في هذا الكتاب هو ومضات في مسيرة حافلة، ورحلة في مشاهد غنية.. هي ذكريات يحملها سموه وأحملها في قلبي وقلبه، وأمانةً يضعها بين يدي القارئ الكريم، علّها تكون نافذة



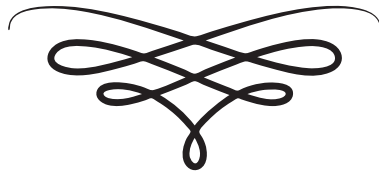


على شخصية زايد الفذة، ومرآة لما تركه من إرث خالد، لا في جغرافية الإمارات وحدها، بل في ضمير الإنسانية جمعاء.

وإني إذ أكتب هذه الصفحات، أشعر أنّ القلم يتهيّب من مقامه، وأنّ الكلمات تقف مترددة أمام عظمة رجلٍ عاش للناس أكثر مما عاش لنفسه، وبنى وطناً صار أنموذجاً في الاستقرار والتسامح والتنمية. وعبرة للمستقبل، وتذكراً بأنّ الرجال العظماء يصنعون التاريخ، ثم يمضون، غير أنّ آثارهم تظلّ باقية ما بقي الدهر.

رحم الله الشيخ زايد، فقد كان مدرسةً في القيادة، ومعلّماً في الإنسانية، ورمزاً للوفاء والعطاء. ولئن غاب جسده عن دنيانا، فإنّ روحه ما تزال تسري في تفاصيل هذا الوطن، وفي قلوب أبنائه، وفي كل نخلةٍ زرعها، وكل بيتٍ شيّده، وكل بسملةٍ رسمها على وجه محتاج.

وشكراً صاحب السمو الشيخ حمد بن محمد الشرقي حاكم إمارة الفجيرة على هذا الكتاب وهذه الذكريات الوطنية، إنها شهادة صادقة على زمنٍ مشرق، ورحلةٍ مع رجلٍ استثنائي قلّ أن يوجد الزمان بمثله.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي



الأب المؤسس المثل الأعلى





لا يُقاس عمر المرء بعدد السنوات، بل بحجم الأعمال التي أنجزها. هكذا تعلمنا خلال مسيرتنا الطويلة منذ تأسيس الاتحاد عام 1971 حتى اليوم. فالأب المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، كان المثل الأعلى في التخطيط والعمل والإصرار على النجاح، وفي كل مناسبة كانت تتركز توجيهاته على ضرورة الإنتاج وتحقيق الأهداف في التعليم والصحة والزراعة والاقتصاد.

أسترجع اليوم تلك السنوات المليئة بالعمل، وكأنه رحمه الله ماثل أمامي، بهيبته ووقاره وحكمته العالية، عندما كان يتحدث عن الوضع في المنطقة والعالم، ويقول لنا سيحدث كذا وكذا، وبالفعل أثبت التاريخ صحة رؤيته الثاقبة التي استندت دائماً على بصيرة صافية وبوصلة لا تحيد عن مصلحة الدولة والوطن.

ولعلني استذكر كل تلك اللحظات التي كان يعطي من خلالها خلاصة علاقته مع الحياة... كان يعلم رحمه الله ان التحديات ستكون مضيئة وصعبة وكان يقول على الدوام لا تعاند الطبيعة ولا تقف في مجرى الماء لأن السيل الجارف سيرميك بعيداً وستخسر كل ما حققته... ابتعد قليلاً وفكر كثيراً ودع الأيام تساعدك في تقوية عودك...

في تلك الأيام، كنا نحن أبناء الجيل الشاب، مؤمنين بقيادته، وكان





يعاملنا بأبوة ورحابة صدر ويراهن علينا لأننا سنكمل الطريق. لقد أسس منهجاً جوهره العمل، لهذا قلت منذ البداية إن عمر الإنسان لا يحسب بالسنوات بل بالأعمال. ولأجل هذا نشعر بالمسؤولية الكبرى في نقل تفاصيل سنوات التأسيس إلى الأجيال بكل أمانة ودقة، لتكون عبرة تفيدهم في صناعة المستقبل وحسن التعامل مع تطورات العصر.

أكثر من نصف قرن من عمر الاتحاد ومن وجودنا في سدة المسؤولية، ودولة الإمارات تثبت يوماً بعد يوم، صدارتها في الاقتصاد والسياسة والتعليم والتكنولوجيا، والأهم من كل ذلك تؤكد تميزها في بناء الإنسان الذي يعتبر اللبنة الأساسية الصلبة التي لولاها لما نجحت بقية الاختصاصات ولما تمكن هذا البناء الحضاري من أن يكون شاهقاً قوياً يتحدث العالم عنه كأمثلة عن التطور.

ومن يرجع إلى الستينيات وبداية السبعينيات ويشاهد كيف كانت هذه الإمارات السبع قبل توحيدها وانطلاق عملية الإعمار فيها، سيعرف ما هي الفلسفة العميقة التي استند إليها الشيخ زايد رحمه الله عندما بنى البشر قبل الحجر، من أجل ديمومة البناء وبقائه شاهقاً مقاوماً للزمن.

نحن اليوم مطالبون باستلهم هذا الماضي، لتحويل سنوات





التأسيس إلى بوصلة نهتدي بها، لأنها مليئة بالعبر والدروس، وبالتالي فإن نقلها إلى الأجيال الجديدة يعتبر مسؤولية وطنية كبيرة لأن المجتمع يستمد طاقته من الجذور ومن دونها لا يمكن للأغصان أن تنمو وتتجه إلى الأعلى، نحو الضوء والارتقاء.

أسترجع اليوم، أول اجتماع لمجلس الوزراء جرى في الحادي عشر من ديسمبر عام 1971، وأتذكر كلمة الشيخ الوالد زايد رحمه الله، لقد خاطبنا حينها بالقول: «إن هذه المناصب الوزارية لن تدوم، ومن الممكن أن يحدث فيها تغيير أو تنقل، قد نرى أحداً منكم أصلح لمهمة أخرى أو لوزارة أخرى، لأنه مارس عمله كما يجب وكان مثلاً يحتذى به بين إخوانه، لأنه أدى ما كان ينتظره منه المسؤولون والشعب، فنجد أنه من الأفضل الاستفادة منه في أكثر من مجال». في هذه الكلمة ظهرت رؤية الشيخ زايد الاستراتيجية وتركيزه دائماً على تحفيز عقلية الإنتاج والنجاح في كل إدارة من إدارات الدولة، حيث كان يكرر دائماً مقولته الشهيرة بأن التاريخ لن يرحم وإنه سيسجل المجريات سواء كانت لصالح المسؤول أم عليه. هذه العقلية التي جعلتنا جميع الوزراء منهمكون بوضع الخطط كل في اختصاصه، والعمل على توفير الإمكانيات وضمان أسباب النجاح.

ولا أغالي إن قلت إن تلك الكلمات التي قالها بقيت في ذاكرتي ورافقتني مدى الحياة، فهي البوصلة التي وجهتني وحددت طريقي





في خدمة الناس طيلة هذه السنوات. ومما قاله الشيخ زايد رحمه الله في ذلك الاجتماع: «إننا لا ننتظر منكم شيئاً إلا ما يدعونا إلى الفخر بكم، وبأعمالكم، نريد أن نفتخر بأبنائنا وبمواطنينا في بلادنا. وإن شعبكم في الخليج يتتبع أعمالكم وسيسجل التاريخ كل شيء، أن لكم وإن عليكم، ومرة أخرى أقول لكم إن التاريخ لا يرحم».

لا شك أن العودة لذلك التاريخ ينطوي على أهمية كبرى، ليس بالنسبة إلي وحسب، بل بالنسبة للأجيال التي ستتولى المسؤولية من بعدي، ففي ذلك الوقت كنت فتياً في بداية العشرينيات من عمري، وكنت أنهل من كلماته وأعتبره مثل والدي، وكم كنت أفرح عندما يسرّ لي بآرائه وخططه المستقبلية، فأنطلق وكلّي حماس إلى إنجاز ما عليّ من مشاريع في وزارة الزراعة التي تسلمت مسؤوليتها حينها. إنها تجربة غنية تستحق الوقوف والتمعن والتدوين كي تكون عبرة على مر الأجيال.

إن التقدم الذي وصلت إليه دولة الإمارات اليوم، يعود إلى تلك الاجتماعات التأسيسية وأهمها أول اجتماع لمجلس الوزراء، فأنا أرى أن كلمات الشيخ زايد رحمه الله قد تحققت كلها بفضل العمل كما قلت. في ذلك الاجتماع قال: «لابد أن نجد لبلادنا مكاناً لائقاً بين الأمم في العالم، ومن هنا مسؤوليتكم كبيرة نحو أبناء بلادنا واحتياجات بلادنا».





إن التطلع إلى المستقبل لا يمكن من دون الاسترشاد بالماضي والاستفادة من عبره، لأن هذا الماضي بكل ما يحمله من تجارب هو بمثابة الجذور التي تغذي تجاربنا في الحاضر، ومن لا يملك الجذور يبقى معلقاً في الهواء بلا انتماء ولا استقرار، ولهذا كله نحن مدينون لتلك الفترات التأسيسية التي أرسى قواعدها الشيخ زايد رحمه الله، فهو القائد والمؤسس وصاحب النظرة الاستراتيجية الثاقبة التي بفضلها أصبحنا ما نحن عليه من تطور ونجاح.

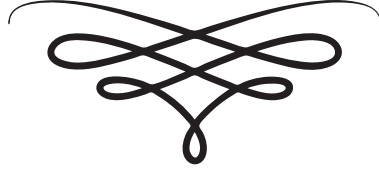
لحظة الإعلان عن الاتحاد، كنت مع صاحب السمو الشيخ زايد رحمه الله وإخوانه الحكام في دبي، كانت لحظات لا تنسى من الفرح والأمل والعزيمة التي ظهرت على وجوه الجميع من مسؤولين ومواطنين ومقيمين عرب شعروا جميعاً بالسعادة والأمل بهذا الاتحاد لأنه يمثل خطوة على طريق الوحدة العربية، في ذلك الوقت ظهرت أهمية الرؤية الاستراتيجية بعيدة المدى التي تحلى بها وقد أثبتت صوابيتها جميع الأحداث التي تتالت في السنوات اللاحقة.

نحن اليوم لا نتكلم من فراغ، بل إن واقع حالنا بعد أكثر من نصف قرن يتحدث بالأرقام والوقائع والإنجازات الملموسة. إن هذا التاريخ لابد أن يصل بشكل متكامل بدءاً من الماضي مروراً بالحاضر، إلى الأجيال الحالية والقادمة، لأنه الدعامة في بناء المستقبل بشكل سليم ومتين ومتطور دائماً. لأجل هذا سنحافظ على الذاكرة لأنها متصلة بشخصيتنا الوطنية وإنجازاتها وما نريد أن ننجزه لاحقاً.





لن أنسى ما حصل أثناء زيارة سمو الشيخ الوالد زايد رحمه الله وطيب ثراه، إلى الفجيرة في التاسع والعشرين من مارس 1972، وقد كنت ولياً للعهد، في تلك الزيارة أشار إلى الأراضي الرملية الشاسعة وقال: سنجعلها جنة خضراء بإذن الله. حينها اختلطت عندي المشاعر، وأحسست أنني أمام أب وقائد تاريخي كبير جاء ليؤسس دولة عصرية بالفعل.







مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







قال لي زاید.





قال لي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، في مجلس تفيض أركانه بالسكينة وتزدان هيئته بحضوره: «يا ولدي حمد هذه الأرض ليست مجرد صحراء، بل هي أمانة في أعناقنا. إن أحسنّا عمارتها وأخلصنا في خدمة أهلها، غدت لنا جنة وارفة، وموئلاً للخير والعطاء».

كنتُ أسمع حديثه وكأنني أسمع نبوءة تنسج بخيوط اليقين، فقد كان يرى المستقبل بصفاء البصيرة وقوة الإيمان، ويحدثنا بثقة من أيقن أن الغد هو ثمرة ما نزرعه اليوم.. ولا أغالي إن قلت أنني اليوم أستذكر منطقته وحكمته وبعد نظره.. وحتى دعاياته التي تقرب الناس منه حينما أجالس أخي صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد رئيس الدولة.. أحد الذين حملوا هم الناس فأصبح اهتمامه الأول أن يجعلهم أهل فرح، فأحبهم واقترب منهم وكان أخاً وبلسماً لجراحهم..

قال لي الشيخ زايد في إحدى زيارته الكثيرة للفجيرة: «لن ينهض هذا الوطن إلا بشرطين عظيمين: المحبة والاتحاد. فالمحبة هي الروح التي تسري بين الناس، تقرب القلوب وتؤلفها، وتزيل ما بينها من فواصل. أما الاتحاد فهو السور الحصين، به تُصان الكرامة وتُحفظ الأرض. إذا اجتمع الناس على قلب واحد، متقاربين متآخين، فلن تعصف بهم عاصفة، ولن تفرّقهم فتنة.. فصونوا الأرض والعرض تبعدون عنا الأعداء والكارهين».



ثم أضاف رحمه الله: «أريد أن يبقى أهل الإمارات أسرة واحدة؛ الكبير أبّ رحيم، والصغير ولدٌ بارّ، والجميع يتقاسمون الخير كما يتقاسمون الهموم. بهذا فقط يكتمل البناء، وبهذا وحده ندرك ما تصبو إليه القلوب».

كنت أرى في عينيه إيماناً لا يتزعزع بأن الوحدة ليست قراراً سياسياً فحسب، بل رابطة وجدانية تؤسسها المحبة، وتغذيها القربى والوفاء. كان يقول: «ستأتي أيام يُضرب فيها المثل بأهل هذه الأرض، في تماسكهم وتآخيهم، حتى يُشار إليهم بالبنان بين الأمم».

واليوم، حين أتأمل في ما نحن فيه من رخاء واستقرار، أستعيد كلماته وكأنها حُطّت بمداد الحقيقة. فقد صدقت الرؤية وتحقق الوعد: صارت الإمارات واحدةً للوئام، وميداناً للعطاء، وأرضاً اجتمع فيها الناس من مشارق الأرض ومغاربها تحت مظلة التسامح والعدل.

كان يردد دائماً لكل من حوله: «اعلموا أن الأوطان تُبنى بالمحبة قبل الإسمنت والحجر، وبالاتحاد قبل القوانين والسجلات. فإذا سكنت المحبة في القلوب، سكنت الطمأنينة في البيوت، وإذا توطّد الاتحاد، استقرت الدولة وازدهرت».

وهكذا ظل صوته يتردد في مسامعي، لا كذكرى عابرة، بل كوصية خالدة، تؤكد أن ما بلغته الإمارات اليوم من عزة ورخاء، لم يكن إلا ثمرة الإيمان، وغرس المحبة، وحصاد الاتحاد.



مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







أول اجتماع لمجلس الوزراء





استعادة السنوات الأولى لتأسيس الاتحاد، تنطوي على الكثير من العبر والمآثر والحنين. فتلك المرحلة التي رسم ملامحها الوالد الشيخ زايد طيب الله ثراه، ستبقى نبراساً تهتدي به الأجيال المستقبلية، لذلك من الضروري العودة إليها دائماً والتذكير بها كي تبقى راسخة في التاريخ.

معرفة القائد المؤسس عن قرب فيها جوانب إنسانية ومعرفية كبيرة، إضافة إلى الجانب الرسمي المتعلق بتأسيس الدولة وبناء المؤسسات. وقد كانت علاقتي به، علاقة الابن بوالده، وكان، والحمد لله، يرتاح لي كثيراً ويقول لي أشياء لم أكن أملك الخبرة بها، وكان يوجهني وأكتشف دائماً أن كلامه صحيح، سواء ما يتعلق بالماضي أو بالمستقبل. خاصة عندما يخبرني بأنه سيحدث كذا ويحدث كذا، كان يمتلك الرؤية المستقبلية كقائد، وأنا في الحقيقة مدين له في خبرتي ومعرفتي لأنني تعلمت من الكثير.

في أول اجتماع لمجلس الوزراء عقد في الحادي عشر من ديسمبر 1971، أدى جميع الوزراء القسم أمام الشيخ زايد رحمه الله، ومن خلال كلمات القسم، التي حددها بنفسه، يمكن اكتشاف البعد الوطني الكبير الذي عمل عليه منذ سنوات التأسيس الأولى. يقول القسم:

«أقسم بالله العظيم، أن أكون مخلصاً للإمارات العربية المتحدة، وأن أحترم دستور الاتحاد وقوانينه، وأن أؤدي





واجباتي بالأمانة، وأن أرى مصالح شعب الاتحاد رعاية كاملة، وأن أحافظ محافظة تامة على كيان الاتحاد وسلامة أراضيه».

ونلاحظ من خلال نص قسم المسؤولية الذي أداه الوزراء، التركيز على قيم الإخلاص للاتحاد، واحترام الدستور، وتأدية الواجبات بأمانة. ثم رعاية مصالح الشعب بكل إخلاص، والمحافظة على سلامة أرض الاتحاد لأنها الوطن الذي سيحتضن عمليات التنمية.

أتذكر اليوم ذلك اليوم التاريخ لاجتماع أول مجلس وزراء في الاتحاد، وأشعر مستعيدا الاحساس بالرهبة، بعد مضي هذه السنوات الطوال. لقد هنا الشيخ زايد بالاتحاد وبشرنا بأن الاتحاد أصبح عضواً في الجمعية العامة للأمم المتحدة وفي جامعة الدول العربية وهنا كوزراء بمناصبنا التي نتولاها لأول مرة. وقال في ذلك الاجتماع مخاطباً جميع الوزراء:

«إن كل عضو في هذه الحكومة عليه مسؤوليات كبار، يجب أن يؤديها كل واحد على خير وجه. إن كل الأنظار تتجه إليكم لتري ما تفعلون. حتى الدول البعيدة عنا، الجميع يراقبون أعمالكم، يراقبون تصرفاتكم الرسمية أو حتى الشخصية. إنهم يحسبون عليكم كل شيء، وكل خطوة، وكل كلمة. فأقول لكم كونوا عند حسن الظن بكم، فإن التاريخ لا يرحم. وأنتم بأعمالكم من سيكتب تاريخ هذا الاتحاد».





لم يكن الاجتماع عادياً، فنحن بمثابة الطلاب نتعلم من الشيخ زايد رحمه الله، ونصغي بكل اهتمام وتركيز. الجميع يريد المشاركة في عملية البناء والتأسيس ويحقق الإنجازات لشعب الاتحاد. كان هناك نوعاً من التفاني الذي زرعه فينا بتواضعه وتضحياته وانشغاله الدائم بمصلحة الشعب والأرض. ومما قاله سموه في الاجتماع:

«إن هذه المناصب الوزارية لن تدوم، ومن الممكن أن يحدث فيها تغيير أو تنقل، قد نرى أحداً منكم أصلح لمهمة أخرى أو لوزارة أخرى، لأنه مارس عمله كما يجب، وكان مثلاً يحتذى به بين إخوانه، لأنه أدى ما كان ينتظره منه المسؤولون والشعب، فنجد أنه من الأفضل الاستفادة منه في أكثر من مجال... إننا لا ننتظر منكم شيئاً إلا ما يدعونا إلى الفخر بكم وبأعمالكم. نريد أن نفتخر بأبنائنا وبمواطنينا في بلادنا. وإن شعبكم في الخليج يتتبع أعمالكم وسيسجل التاريخ كل شيء، إن لكم وإن عليكم، ومرة أخرى أقول لكم إن التاريخ لا يرحم».

الكلام كان عميقاً، وكانت علامات التأثر تظهر على محياه رحمه الله فهو كان يدرك أهمية المرحلة التأسيسية، وأهمية المراهنة على الفكر والأخلاق في البناء. لهذا كله، كان من الضروري دائماً التذكير بسنوات التأسيس الأولى لأنها تنطوي على مرحلة وضع القواعد التي تم عليها البناء لاحقاً.





إن ما وصلت إليه دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم من تطور وازدهار، كان على طاولة الاجتماعات في أول اجتماع لمجلس الوزراء، بالطبع تم تدوين تلك الكلمات لتبقى راسخة في أذهان الأجيال المستقبلية، فهي منهج ودرس لمن أراد أن يكون من المتميزين، وأدعو شباب اليوم أن ينهل من هذه المدرسة العريقة الكثير من العلم والحكمة ويتخذها نهجاً لحياته ونبراساً يقتدي به حتى ينعم بالسعادة والرضا ويحقق ما يصبو إليه.

في نهاية ذلك الاجتماع، شكر الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراهما، على توجيهاته لنا وعاهده على العمل بها وخدمة شعب الإمارات. منذ تلك اللحظة شعر جميع الوزراء أن عملية الانطلاق للعمل بدأت، وأن على كل واحد أن يقدم جميع إمكانياته من أجل تحقيق الإنجازات ضمن اختصاصه. ومن موقعي وزيراً للزراعة والثروة السمكية، شرعت على الفور برسم الخطط التنموية وتهيئة الكوادر والمؤسسات التي ستتولى المهام. كان كل ما يشغلني هو بسملة الرضا التي سأراها على وجه الوالد الشيخ زايد، عندما يطلع على الإنجازات التي سنصل إليها، فهو مدرسة بفكره ورؤيته الثاقبة، إلى درجة لا يمكن لأي شخص يلتقيه، إلا أن يظهر علامات الإعجاب بتلك الكاريزما المدعمة بالمعرفة العميقة والأخلاق العالية والتفاني من أجل المصالح العامة.





في نهاية الاجتماع، جلست مع الوالد الشيخ زايد رحمه الله، وأخبرني بأن المنتظر تحقيقه من وزارة الزراعة والثروة السمكية التي أشغلها، كبير جداً، فالأرض هي الأساس في عملية التنمية، وهي مصدر الغذاء وعليها سوف تقام المشاريع الكبرى في السنوات القادمة، لذلك فإن التأسيس للزراعة المتطورة والري الحديث والمعدات الجديدة للحصول على الثروة السمكية التي تكفي للاستهلاك المحلي والتصدير، سيعتبر أمراً ضرورياً في المرحلة الأولى. وقد أكد على توفير الميزانية الكافية للوزارة من أجل إنجاز كل ذلك، كما أكد استعداداه لتلبية الاحتياجات الطارئة التي يمكن أن تزيد عن الميزانية المرصودة. لقد كان له اتصال مباشر مع جميع الوزراء والمسؤولين في الدولة، من أجل سهولة المعالجة وتيسير العمل بالسرعة الممكنة. لقد كانت مؤسسات الدولة بمثابة ورشة عمل كبيرة أو خلية نحل ضخمة، كلُّ مشغول بإنجاز ما عليه من أجل إنجازها على أكمل وجه.

بالعودة إلى السنوات التي أعقبت الاجتماع الأول لمجلس وزراء الاتحاد، يمكن أن نكتشف ما أنجزته الوزارات بناء على توجيهات الوالد الشيخ زايد رحمه الله، في الاختصاصات المختلفة. ففي الجانب الزراعي، كان يدرك طبيعة تاريخ الأرض في منطقة الخليج العربي، ويذكرنا دائماً بأن البيئة كانت عبارة عن أرض خضراء لكنها تعرضت للتصحر لاحقاً، وبالتالي فإن إعادة الأرض إلى ما كانت





عليه، ليست بالعملية المستحيلة، رغم الصعوبات التي تعترضها. هذه الكلمات حملتني الكثير من المسؤولية التي ألقيتها على كاهل نفسي، فأمضيت طيلة مرحلة مسؤوليتي كوزير للزراعة والثروة السمكية، أعيش هاجس تحقيق حلم الوالد الشيخ زايد رحمه الله، فقد شعرت أنه مع زراعة كل شجرة، سنحصل على خير إضافي يصب في مصلحة الشعب.

لقد تم تخصيص جزء كبير من موازنة الخطة التنموية الأولى لدولة الإمارات العربية المتحدة، من أجل دعم القطاع الزراعي في الدولة. كما جرى العمل على تطوير المرافق العامة وزيادة نسبة الأراضي المستصلحة، والقابلة للزراعة. وإعداد برامج لاستصلاح الأراضي الزراعية الجديدة. والمباشرة ببناء الأفلاج، بهدف تجميع المياه وبناء القنوات الخاصة بالري. وتوفير المياه للأراضي الزراعية مجاناً دون مقابل. والحرص على إعداد برامج، واتخاذ إجراءات هدفها مكافحة التصحر في الدولة، وذلك من خلال الآتي:

- زيادة الاهتمام بالمياه الجوفية.
- زيادة كمية السدود المنشأة.
- تحفيز المزارعين على استخدام المواد المخصبة للتربة.
- بناء المصانع المصنعة للأسمدة.
- زيادة الاهتمام بالزراعة التي تُقاوم الملوحة في التربة.
- الدور الكبير في تطوير زراعة أشجار النخيل، إذ شجع المغفور





له الشيخ زايد على زيادة المساحات المزروعة بأشجار النخيل، وزيادة عدد الأشجار، بهدف الحصول على كمية أكبر من منتجات التمور، وبالتالي تشجيع الاستثمار في هذا القطاع، مما وضع دولة الإمارات في مكانة متميزة في زراعة النخيل على مستوى العالم.

اعتمدت الزراعة في الدولة، على مبدأ الاستدامة من أجل تحقيق الأمن الغذائي، وتقليص الفجوة الغذائية، عن طريق المحافظة على التربة والاستخدام الأمثل للمياه الجوفية ومياه الأمطار. وكان المطلوب أن نتغلب على الخصائص المناخية والطبيعة الجغرافية التي تتصف بها المنطقة مثل شح المياه وقلة الأمطار وارتفاع درجات الحرارة وضعف التربة.

وبناء على توجيهات الشيخ زايد رحمه الله، تم تحضير الأراضي الزراعية وجرى توزيعها على المواطنين مجاناً، كما بدأت عملية منح القروض الزراعية وتوفير معدات العمل الزراعي، وهو أمر انعكس مباشرة على استقرار الفلاحين في أراضيهم ومواصلتهم زراعتهم لها عازفين عن الهجرة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت. لقد أثبتت رؤية سمو الوالد الشيخ زايد صوابيتها، فقد بدأت أرض الإمارات تشهد زراعة أشجار مثل التفاح والأناناس والزيتون والبن والكمثرى والفراولة وأشجار الموالح.

في إحدى زيارات العمل مع الشيخ الوالد زايد رحمه الله وطيب





ثراه، كنا في الطريق من أبو ظبي إلى العين، فأشار بالتوقف لتفقد إحدى المزارع العائدة لأحد المواطنين. ولقد لاحظ أن النباتات فيها غير مرتوية من الماء بشكل جيد، كما لفت انتباهه أن الخيول تلهث من العطش. فأصدر أوامره مباشرة برّي المزرعة بالماء، وشراء الخيول، من أجل إطلاقها في المحميات الطبيعية التي أنشأها مثل جزيرة صير بني ياس التي تحوي آلاف الحيوانات كغزلان الرمل العربي والظباء والفهد الصياد والزواحف والطيور والثدييات بأنواعها إضافة إلى الكثير من الأشجار المثمرة مختلفة الأنواع.

الأرض كانت تحتاج هذا النوع من القادة النادرين، الذي نقل أسلوب تفكيره العميق إلى جميع المسؤولين في الدولة فكانوا بمثابة الأبناء، ينهلون من علمه ومعرفته وأخلاقه. لم يكن لأحد أن يتخلف عن ركب التطور والنهوض، لأن القائد في مقدمة الفرسان، يعمل بيده ويزرع ويسقي وينزل لمقابلة الناس والاستماع إلى مشاكلهم ويقوم بحلها.

الثروة السمكية، كانت حاضرة في اهتمامات الوالد الشيخ زايد رحمه الله، وقد أصدر أوامره بزراعة أشجار القرم بالقرب من الشواطئ لأنها تعمل على تكاثر إصبعيات الأسماك. كما أصدر القوانين التي تنظم عمليات الصيد لكي يتم التكاثر بشكل طبيعي في المواسم الدورية ولا تتعرض بعض الأنواع إلى الانقراض. بكل اختصار كان مجلس الوزراء بحاجة إلى استنفار دائم واستحضار أفكار جديدة





واطلاع على المنجزات العلمية في كل اختصاص، من أجل اللحاق بفكر الوالد الشيخ زايد رحمه الله، الذي كان يتفوق على الجميع بانشغاله الدائم بمصلحة الشعب والأرض.

كان يركز دائماً على موضوع التوازن بين التنمية والحفاظ على البيئة وتطويرها. وذلك من منطلق أن الثروات الطبيعية ملك للأجيال ويجب زيادتها واستمرار ديمومتها. وكثيراً ما كان يردد: « زرعوا لنأكل... ولنزرع ليأكلوا ».

في مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية «قمة الأرض» الذي عقد في البرازيل عام 1995، تحدث الشيخ الوالد زايد رحمه الله، عن إنجازات دولة الإمارات العربية المتحدة في مجال الحفاظ على البيئة، فقال: «نجحت دولة الإمارات العربية المتحدة على الرغم من كونها دولة حديثة في قطع خطوات واسعة لحماية البيئة ومكافحة التلوث وقهر الصحراء، حتى أصبحت القدوة والنموذج للدول التي تحدث الطبيعة القاسية للصحراء وحافظت على البيئة ونقائها وتنميتها، مما جعل العلاقة بين الأرض والإنسان علاقة عطاء متبادل». وفي ديسمبر عام 1995، منح الشيخ زايد جائزة تقديرية وميدالية ذهبية من منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو)، تقديراً لجهوده في نشر التنمية الزراعية داخل دولة الإمارات ومساهماته في عدد من الدول النامية في هذا المجال. وتبرع المغفور له الشيخ زايد بتكلفة تدريب وتخريج طلاب وطالبات





من برنامج الماجستير البيئي من جامعة الخليج العربي بالبحرين. وجاءت هذه المنحة السخية تتويجاً لجهوده للحفاظ على البيئة والحياة الفطرية وتنميتها ورفع القدرات البيئية للمواطنين الشباب في التحصيل العلمي والاختصاص الأكاديمي، سواء في جامعة الإمارات أو على المستوى الخليجي والإقليمي في جامعة الخليج العربي بالبحرين.

بفضل التأسيس الصحيح للدولة، والعناية بالموارد والحفاظ على البيئة وتنميتها وتطويرها التي كانت تتم بتوجيه مباشر من الوالد الشيخ زايد رحمه الله، نالت دولة الإمارات العربية المتحدة العديد من شهادات التقدير والجوائز من المنظمات العالمية والإقليمية. واختيرت مقررًا للأمانة العامة للهيئة التنسيقية للصندوق العالمي للحفاظ على الطبيعة لصون المها العربي، وكذلك اختيرت في عام 2000 لمنصب رئاسة جماعة السلاحف البحرية لمنطقة غرب المحيط الهندي التي تتبع للاتحاد العالمي لصون الطبيعة، وذلك تقديراً لدورها في مجال حماية الأنواع المهددة بالانقراض من السلاحف البحرية. وتبني مؤتمر القمة للتنمية المستدامة الذي انعقد في مدينة جوهانسبيرج في جنوب إفريقيا خلال شهر سبتمبر 2002 مبادرة أبوظبي العالمية، للبيانات البيئية التي تهدف إلى تعزيز التعاون بين الدول المتقدمة والدول النامية في ميادين المعلومات البيئية.





ومن المعروف أن اهتمامات الوالد الشيخ بالبيئة والأرض ومواردها، ليس جديداً، ففي عام 1966 ومع توليه مقاليد الحكم في إمارة أبو ظبي، حظر الصيد منذ عام 1977، فضلاً عن معجزة زراعة الصحراء والتي تعتبر إحدى أهم الإنجازات الخالدة للشيخ زايد، حيث استطاعت دولة الإمارات وبفضل سياسته الحكيمة ترويض الصحراء والتغلب على طبيعتها القاسية الجافة، ودرجات الحرارة العالية لتتحول إلى أرض خضراء.

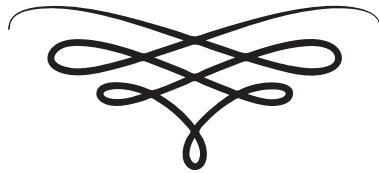
عمل الشيخ زايد على التخفيف من حدة الصحراء عبر نشر الغطاء الأخضر، ولأن الدراسات حينها كانت تؤكد أن أبو ظبي تعاني من التصحر وانجراف الرمال ودفنها للنباتات. عمل الشيخ زايد رحمه الله على تسطيح الكثبان الرملية وفرش طبقة جديدة من الطين فوقها. وكانت تلك عملية ناجحة جداً، فتم توزيع الأراضي على المواطنين وبدأت عمليات الزراعة تزدهر عبر إقامة الأحزمة الخضراء. تلك الخطة كانت تؤكد زيادة سموه وقراءته الناجحة للمستقبل. كانت مصدّات الرياح في تلك المرحلة، غير معروفة بالشكل الكافي، لكنه وعبر زيارته المتكررة لمختلف البلدان والاطلاع على تجاربها في الزراعة ومقاومة التصحر، إضافة إلى حرصه على إرسال البعثات للدراسات في الخارج ضمن هذا الاختصاص، جعله على اطلاع دائم بأنجع الأساليب من أجل تحقيق إنجاز كبيرة على صعيد البيئة ومقاومة التصحر.





أمر الشيخ زايد بزراعة الغابات حول المدن لحماية الزراعات والمدن من هجمات الصحراء المحملة بالرمال وتلطيف الجو وتقليل نسبة الرطوبة. إضافة إلى الاهتمام بالمياه الجوفية وإنشاء السدود واستخدام مخصبات التربة وإنشاء مصانع الأسمدة والاهتمام بالزراعات المقاومة للملوحة. كما عمل على تشجير جانبي الطريق بين العين وأبوظبي وكان هذا المشروع بداية نجاح الوالد الشيخ زايد رحمه الله في معالجته قسوة الصحراء.

الحديث عن إنجازات الشيخ زايد خلال السنوات الأولى للاتحاد يطول كثيراً، وهو جزء من مسيرته عندما كان حاكماً للعين وأبو ظبي. وإن كل ما نراه من اخضرار وازدهار الآن، يعود إلى فضل تلك المرحلة التأسيسية التي قادها في بناء البلاد ووضع اللبنة الأولى من أجل إشادة الأبنية الشاهقة والمعامل الحديثة لتصبح دولة الإمارات وجهة لجميع سكان الأرض.





مع زايد | ذكريات يرونها حمد بن محمد الشرقي









أريد أن يتعلم كل أبناء الخليج





أهداف الشيخ الوالد زايد رحمه الله، تجاوزت الاتحاد لتأخذ بعدها الخليجي والعربي. فقد كان يدرك الترابط الكبير بين المناطق العربية وأهمية أن يكون بينها تنسيق وسوق مشتركة وشبكات طرق وسكك حديدية، ومثلما كان يمتلك نظرة قومية، لم يغيب عن اهتمامه البعد الإنساني، فقد حرص بشكل دائم على دعم المناطق الفقيرة في العالم عبر المشاريع الاقتصادية والصحية وإنشاء مقومات البنية التحتية فيها. الشراكة بالثروة، كانت بالنسبة له شراكة بالخير، وتقاسم الظروف مع المحيط العربي والعالم، بسرائها وضرائها، لهذا سنرى حضور البعد الخليجي والعربي والإنساني العالمي، في جميع ما قال وما عمل على تحقيقه.

أثناء الزيارات بين مدن الإمارات العربية المتحدة، في السنوات الأولى لقيام الاتحاد، كان الوالد الشيخ زايد مشغولاً دائماً بالنظر كثيراً إلى الجغرافيا من شاطئ بحر العرب، باتجاه الخليج العربي والداخل، كأنه كان يتحسس تراب البلاد بيديه ويطلع صورتها في ذاكرته، حتى يتمكن من تنفيذ المشاريع التي يفكر بها لاحقاً... هذه مدينة وذلك شاطئ وهنا جبال وواديان... المياه الجوفية قد تكون هنا، وربما كان من الأنسب أن نجرب زراعة نوع جديد من الأشجار إلى جانب النخيل. كان يعلن مباشرة عن البعثات ويطلب المختصين ويحرص على تدريب الكوادر في أرقى الدول العالمية كي يعودوا إلى هذه الجغرافيا التي عشقها وأحب أن يجعلها جنة





خير وسلام، من أجل البناء والتطوير والاستثمار الجيد.

انطلاقاً من هذه المواقف التي كنت أشاهدها بألم العين، قال لي بعد شرح طبيعة المنطقة العربية وترابطها: «أريد أن يتعلم كل أبناء الخليج. أريد أن يبني ابن الخليج بلاده بنفسه وعلمه. إننا نرسل بعثاتنا من الطلبة إلى كل مكان من الأرض ليتعلموا، وعندما يعود هؤلاء إلى بلادهم سأكون قد حققت أكبر أمل يراود نفسي لرفعة الخليج وأرض الخليج».

كثيراً ما كان الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، يصمت وهو يتأمل المناطق والجبال والسهول، أثناء الزيارات التي كنا نقوم بها خلال السنوات الأولى لتأسيس الاتحاد. عندها كنت أقول في نفسي، إنه بعد هذا الصمت سيقول شيئاً مهماً يفكر فيه. وبالفعل غالباً ما كان يتحدث عن مشروع جديد في هذا المكان الذي يتأمله، أو عن فكرة طرأت على ذهنه. وكنت أعلم أنني أمام بحر من المعرفة والحكمة والأصالة، ولهذا كنت متأهّباً دائماً لتلقي ما سيجود به هذا الفكر النير. بعد وقفة تأمل وتحديق بالمنطقة حيث كنا نتواجد بالقرب من «دبا الفجيرة»، قال حينها:

«لقد آن لنا أن نستعيد عزتنا ومجدنا، ولن يكون ذلك بالمال وحده، وما لم يقتزن المال بعلم يخطط له، وعقول مستنيرة ترشده؛ فإن مصير المال إلى الإقلال والضياع».



ولأن حجم الدول لا يقاس بالثروة والمال، كما كان يكرر دائماً، فقد راهن الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، على العلم، وقدرة الدول على توفير الحياة الكريمة لأبنائها، وقد أدرك أن ذلك لن يكون إلا عبر تقدير العلم وأهمية العلماء. وقال أكثر من مرة: «الإنسان السوي إذا لم يستخدم طاقاته الفكرية والعقلية، ويعمل على تسخيرها في كل ما أمرنا الخالق سبحانه وتعالى فإنه لن يحصد إلا الأمراض والمتاعب النفسية والاجتماعية».

انطلاقاً من كل هذا، وجه الوالد الشيخ زايد رحمه الله، جلّ اهتمامه إلى الشباب، وقال فيهم: «الشباب هو الثروة الحقيقية، وهو درع الأمة وسيفها، والسياج الذي يحميها من الطامعين». فالشباب هم العمال والمزارعون والمعلمون والصناعيون والتجار، وهم من نراهن على خبراتهم التي يجنونها من البعثات الخارجية والداخلية، لهذا عمل سموه على فتح الآفاق أمامهم وإزالة العقبات، مع الحرص على إيصال خبرات الأجيال السابقة إليهم حتى يواكبوا المستقبل بشكل صحيح لا ينفصل أبداً عن الأصالة والتراث.

حديث الوالد الشيخ زايد رحمه الله، عن الشباب، كان يقصد به شباب الخليج والشباب العربي، وقد شهدت إقبال الشباب العربي على مجلسه من أجل السلام والشكر، في جميع القمم العربية التي رافقته فيها. كان يحرص على النزول للشارع والتجول بين الناس، ولم نكن نتفاجأ بحجم الحفاوة والسعادة التي يقابل بها





من قبل الشعوب العربية من جميع الفئات، فقد سبق أن ترك إرثاً طيباً في المواقف السياسية والمساعدات الاقتصادية وإرسال البعثات وإقامة المشاريع والمشافي، التي كانت تؤكد كلها أنه ينظر إلى الشباب العربي ويتعامل معه كجزء من شعبه. امتاز الشيخ زايد بحسن التواصل مع الشباب واستيعابهم ومخاطبتهم بالشكل الصحيح، فلا يطلب منهم أن يكونوا نسخة مطابقة من الأجداد، بل كان يراعي خصوصيتهم واختلاف طبيعة العصر الذي يعيشونه، وفي الوقت يؤكد على حسن تواصلهم مع تاريخهم ومع الجذور التي نبتوا منها. وكان في ذلك يمتلك رؤية فلسفية اجتماعية لا يتحلى بها سوى القادة، كما كان يقول: «وحينما نتكلم عن الشباب ومع الشباب، يجب أن نتكلم باللغة التي يفهمونها، حتى تصل المعاني إلى عقولهم ووجدانهم، ويجب أن نتحاور معهم بروح العصر ولا نفرض عليهم رأياً أو موقفاً بغير اقتناع منهم. ولا نتصور أن هذا الجيل نسخة طبق الأصل من أجيال سابقة، فكل جيل له سماته وطبيعته وتفكيره، فما كان مقبولاً في جيل الخمسينيات مثلاً أصبح مرفوضاً في جيل الثمانينيات، وما كان مقبولاً في جيل ما قبل البترول لا يصلح مئة في المئة للجيل الحاضر».

لم يرغب الاهتمام بالشباب عن شعر الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، فقد كتب العديد من القصائد مؤكداً على دورهم في بناء الوطن.





كان رحمه الله يدعم آراءه أثناء الحوار بالحجج المنطقية والشعر والأمثال العربية القديمة، ويؤكد على السامعين أن الحداثة والتطور، لا تعني الانسلاخ عن الجذور، بل هي فروع جديدة ستنمو في كل مرحلة زمنية لتكبر شجرة الوطن وتستمر بالحياة معتمدة على غذائها ومائها من الجذور. يقول رحمه الله في قصيدة للشباب:

يا ذا الشَّباب الباني	بادر وقم بجهود
أولا تقلّد الدّلهاني	لي ما وراهم زود
وترى الرّدي والدّاني	في سعيهم منقود
شمّر الوقت إن زاني	واعمل شري ليدود
وعسى شباب أوطاني	يحظى بمجد أوفود

بالطبع، لا تعني عناية الوالد الشيخ زايد رحمه الله بالشباب، الاهتمام بالرجال فقط، بل كان سموه لا يفرق بين المرأة والرجل، ويرى أن للمرأة الأم والمعلمة والأخت والزوجة، دوراً كبيراً في المجتمع يجب أن تقوم به، لأن الله سبحانه وتعالى خصّها به، فهي ليست سلبية أو مقيدة أو غير قادرة، بل بإمكانها فعل الكثير إذا ما توفر لها العلم والخبرة. وفي أحد اللقاءات في جولة له في المؤسسات التعليمية، قال للطلاب: «إن دور المرأة لا يقل عن دور الرجل وإن طالبات اليوم هنّ أمهات المستقبل».

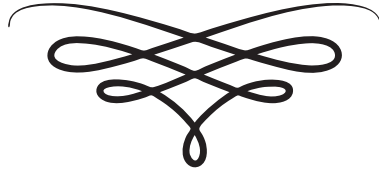
نالت الأم في فكر الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، الكثير من





الاهتمام، وكان لا يحذ قيام طرق آخر بتربية الأبناء سوى أهمهم، فهي صاحبة الدور الأساسي في التنشئة والتعليم ونقل العادات والتقاليد العربية الأصيلة إلى أبنائها إلى جانب اللغة العربية التي اعتبرها مملكة متكاملة من السحر والجمال والإعجاز. يقول سموه: «لا يجوز انشغال الأم عن أبنائها واعتمادها على الغير في تربيتهم وأن دور الأم هو في تنشئة أبنائها وتربيتهم».

أهم ما تعلمته من الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، هو الحرص على مد الجسور مع التاريخ العربي والتراث واللغة والدين، وبقدر ما كان يشجع على مواكبة العصر واعتماد التكنولوجيا والاستفادة من الحضارات العالمية، إلا أنه كان يرفض الاكتفاء بالقشور، ويركز على الجوهر في عملية التقدم، بحيث يعمل الشباب على مد الجسور مع الماضي العربي المجيد، والانطلاق إلى المستقبل بقوة وثقة.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







ازرعوا هنا نخلة
وهنا غافة وهنا سدره





تميز الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، باهتمامه بالتفاصيل التي تعطي مؤشرات على نجاح أي عمل من عدمه. ففي الشارع والاجتماعات الرسمية والزيارات العالمية، كان سموه يلتقط الملاحظات الصغيرة ويكتشف منها حقائق الأمور. تلك الميزة أكدت دائماً خبرته الكبيرة في الحياة، وهي ملكة تميز العرب بها تاريخياً، وتتصل بالفِراسة وحدة البصيرة التي جعلت العربي يكتشف الأشخاص من وجوههم والأشياء من النظرة الأولى. كيف لا وزايد هو القائد والسياسي البارع والشاعر المجيد صاحب الحس المرهف الذي يعبر إلى داخل الأشياء بحنكة قل نظيرها.

«ازرعوا هنا نخلة... وهنا غافة... وهنا سدر» ، قالها كثيراً رحمه الله ، وهو يتجول في شوارع العين وأبو ظبي والشارقة والفجيرة وغيرها من إمارات الاتحاد، منشغلاً بحال البلاد وحدائقها وناسها وطبيعة شوارعها ومبانيها. كان نشر الغطاء الأخضر في أولى اهتماماته، ولن أغالي بالقول إن معظم حدائق الإمارات ومحمياتها، كان له الفضل في إنشائها وترتيبها وتحديد نوعية الأشجار المزروعة فيها.

الاهتمام بالطبيعة ونشر الغطاء الأخضر، يعود بالأساس إلى عنايته بالإنسان ومعيشته وتعليمه وطباطبه. ولن أنسى يوم تفاجأ في إحدى الزيارات التي كنت أرافقه فيها، من وجود بعض المواطنين ممن لا يملكون منازل للسكن، ويعيشون بالأجرة! لقد قال بكثير من التأكيد والإصرار: «لا يجوز أن يكون هناك مواطن لا يملك منزلاً





في وطنه... البيت وطن، ومن لا يملك منزلاً لا يمكنه أن يقدم إلى الوطن شيئاً». وعلى الفور، أمر بإجراء الإحصائيات والبدء بمشروع تجهيز المساكن الفاخرة التي توزع مجاناً على المواطنين من أجل تأمين الحياة الكريمة لهم حتى يكونوا منتجين حقيقيين في الوطن وقادرين على تقديم كل ما لديهم من أجل رفعة وتطوره.

التفت إلي في إحدى الزيارات، وكان الحديث يتناول حال الناس وظروف سكنهم، فقال: «فاقد الشيء لا يعطيه... فإذا لم تقدم الدولة لأبناء الوطن كل احتياجاتهم، لا يمكنها أن تطلب منهم إنتاجاً حقيقياً. لأن من لا يملك مقومات العيش الكريم لا يمكن أن يوجد على الآخرين أو يقدم للوطن أي شيء». كانت البلاد تحتاج هذه الحكمة العميقة في التعامل مع الناس ووضع الخطط الاقتصادية والطبية والزراعية وغيرها من التفاصيل المتعلقة ببناء الدولة الحديثة التي لا يمكن أن يصبح بناؤها شاهقاً مالم يؤسس على العدالة في توزيع الثروة والأخلاق والمشاعر الوطنية والإنسانية.

شارك الشيخ الوالد زايد رحمه الله، بتخطيط المدن وتوزيع الحدائق والمشافي، وكان يهتم بكل صغيرة وكبيرة أثناء العمل ويعطي التعليمات من أجل تحسين المشهد الجمالي العام، وكان يطالب كل وزير بتقديم منجزاته التي حققها على الأرض في اختصاصه، كي يعلم الجميع هذا النهج في العمل وحتى يعطي الكل درساً حول معنى المسؤولية والالتزام بمصالح الشعب والوطن.





كان الشيخ زايد يتوقف أثناء جولاته بشكل مفاجئ ليزور بيتاً أو واحدةً أو مدرسة أو مشفى. وفي إحدى الجولات التي رافقته فيها على الأراضي الزراعية، شاء أن يطرق أحد أبواب المواطنين ويلقي التحية ويسأل أهل المكان عن أحوالهم. وبالفعل قرع الباب وتفاعلاً أهل المنزل به ولم يصدقوا ما تراه عيونهم، فألقى التحية واطمأن على أحوالهم، واهتم بالحديث مع أطفالهم وسألهم عن درجاتهم في المدرسة، ثم قرر تقديم مكافأة مالية قيمة للأطفال نظراً لتفوقهم في الدراسة. هذا التواصل الاجتماعي، كان يقوي عضد المجتمع وتلاحمه مع قيادته، ويجعل القائد على معرفة دائمة بأحوال المواطنين ومشاكلهم ويبادر إلى حلها مباشرة. كانت الفترة في بداية السبعينيات بعد قيام الاتحاد عام 1971، وكان يدرك أهمية بناء المجتمع وتشجيعه على العمل والإنتاج عبر مكافأة الأطفال الصغار الذين نالوا قسطاً وافراً من اهتمامه.

في مارس 1973، زار الشيخ زايد الكثير من مدارس الإمارات، وكان يخاطب الطلاب ويطمئن إلى دراستهم ومتطلباتهم. وقال مخاطباً الطلاب بعد حديث مطول معهم:

«إن دوركم الآن هو تحصيل العلم وسوف يأتي دوركم في الغد لمتابعة مسيرة الآباء والأجداد». كان يدرك أهمية تأسيس جيل متعلم وواع يتحمل المسؤوليات القادمة، لذلك كان هذا الأمر يحظى باهتمامه الكبير أكثر من جميع الجوانب الأخرى، وهو





الاهتمام الذي لا يختلف عن تركيز على نشر الغطاء الأخضر في الطبيعة عندما كان يتجول في الأماكن العامة والحدائق ويقول: «أزرعوا هنا نخلة وهنا غافة وهنا سدر»، فالزراعة تصحّ أيضاً على الإنسان في طريقة تربيته وتدريبه على الأخلاق والعلم والإيمان. إن التربية السليمة تعني غطاءً أخضر مثلما هو الحال في الطبيعة عندما نحول الصحراء إلى واحات وغابات.

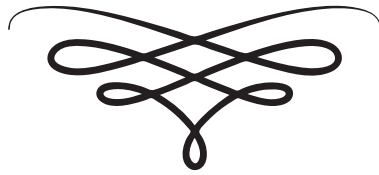
كل من عايش تلك المراحل التأسيسية المجيدة، يدرك عظمة الوالد الشيخ زايد رحمه الله، فهو القائد الذي ستذكره الأمة العربية على مر العصور، كيف لا، ومعظم المدن العربية لا تخلو من مشفى بناه أو مدينة سكنية أسسها، أو مكتبة أعاد إحياءها، أو بعثة تدريبية تحملتكاليفها.

في كل هذا كان زايد يؤكد حقيقة تقول إن الاستثمار بالإنسان هو المشروع الأنجح، وهو الأهم لأن الإنسان هو الباني وهو المخطط، وعندما نمتلك الإنسان الجديد والحضاري، يمكننا أن نفعل أي شيء. كان رحمه الله مشغولاً دائماً بصناعة الرجال المختلفين والأقوياء، في الجيش والتعليم والزراعة والصناعة وكل المجالات الأخرى. لذلك قال بعد أحد اللقاءات مع طلاب البعثات العائدين بنجاحاتهم من الخارج: «الآن أعلم أنني ربحت»، نعم لقد ربّح الإنسان الذي أعطاه جل وقته واهتمامه، فالديمومة كانت بالنسبة إليه لا تكون مضمونة إلا ببناء الإنسان، ومن يجيد هذا البناء، لا شك سيكسب الرهان.





هذا هو نهج الشيخ زايد طيب الله ثراه، نهج يعتني بالجوهر في كل شيء ولا يهتم بالقشور. ولنستعرض جميع المجالات التي تابعتها خطوة بخطوة، فسنجد أن التركيز على المضمون كان الشغل الشاغل له، حتى على صعيد السياسة وإصلاح العلاقات العربية، كان كلامه مسموعاً لأنه لا يحابي بل يصر على معالجة القضايا من الجذور بكل صراحة وحب. لهذا كان قاسماً مشتركاً بين جميع الأطراف، وكان الجميع مؤمنون برجاحة رأيه حتى لو نال منهم، لأنهم يدركون أنه لا يخشى لومة لائم في قول كلمة الحق. هكذا نال مكانة مشرفة عند جميع العرب عبر أخلاقياته العالية التي حملت على عاتقها تمثيل الشيم العربية الأصيلة، ومن هنا، فإن دوره الإيجابي الوطني والإنساني، لم يقتصر على الدعم المادي وإقامة المشاريع ومساعدة الفقراء، بل ارتكز أيضاً إلى تكريس القيم والإعلاء من شأن الرجولة التي قال إن أعلى ما تتصف به هو الأخلاق.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







استوي نفس أبوك





للعربية فلسفة يتفاعل فيها نطق الحرف وبهاء المعنى، فرعان مورقان من شجرة البيئة،

التي يصعب فيئها على إنسان لم يتفاعل مع الجبال والسهول والبوادي. ولأن هذه الشجرة ضاربة الجذور، تقتضي سلامة الفهم معرفة عمقها، حتى يستظل المرء ببسرٍ، هائلاً بطراوة الأغصان.

لطالما ظن مهتمو الغرب ومستشرقوه، أن صعوبة كبيرة تحول بينهم واللغة العربية، لكن واقع الحال أثبت دائماً، أن حسن التواصل لا يتم من دون فهم استواء العلاقة بين البيئة وتجلي الحرف. والاستواء هنا هو النضج في هذه الأقاليم، كضرورة حتمية للإثمار.

ما دعاني لاستدعاء فحوى الاستواء مع معاجم العرب وحياتهم، هو الكلمة الشهيرة للشيخ الوالد زايد رحمه الله عندما كان ينصح الشباب جيل المستقبل المنتظر، بالقول: «استوي نفس أبوك». وقد ظهر تطبيق هذا القول عملياً عند صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة الذي كان خير خلف لخير سلف. فالنصيحة هنا، وليدة فلسفة تربط لغة العرب بمفاهيم الحياة، وهو خبير بنضوج الأب واستوائه درياً مستقيماً في السلوك. كما أنها حكمة لا تنفصل عن الإيمان، ألم يقل تعالى في كتابه العزيز: «الذي خلقك فسوّاك فعدّلك» وكان يشير إلى خلق الإنسان وتسويته في أحسن تقويم.





إصرار الشيخ زايد رحمه الله دائماً على إعادة الجداول
للينابيع، لا ينفصل عن حقيقة الشخصية العربية الأصيلة،
وهي المُنْتَج الطبيعي لتفاعل الإنسان مع البيئة طيلة آلاف
من السنوات، أمكن خلالها اختزال الحياة إلى لغة جامعة
شاملة تتفرد عن جميع اللغات بفلسفتها ومفاهيمها الكامنة
خلف المفردات.

بلاغة العربية ليست مسألة لغوية وحسب، بل هي حياة متكاملة
ومتفاعلة، اختصرها القول الشهير: أقل ما يمكن من الكلمات،
بأكبر قدر من المعاني. إنها الفصاحة والفراصة التي جعلت الشعر
ديوان العرب، وملعب اختزالاتهم التي لا تحتاج إلى استطلاعات
وشروحات مسهبة، لأن سهامها تصيب كبد المعنى مباشرة من
دون موارد أو ضياع للهدف. ولنا في قول الشاعر الشيخ الوالد زايد
رحمه الله، خير مثال على ما أسلفنا من علاقة اللغة بشخصية
العربي وأحلامه وفهمه للحياة ومعنى الاستواء، وحسب أبيات
الشعر التي قالها الشيخ زايد رحمه الله:

والشهم يعرف يوم ييمد ويبين عند الناس طاريه
كانه جريب وكان ابعده باينشهد بالي يسويه

سنوات طويلة ولقاءات كثيرة، جمعتني معه رحمه الله وإذا كان
أجدادنا القدماء يراهنون على سلامة اللسان والنطق لأنها متصلة
مباشرة بسلامة الفهم والسلوك، فإن سموّه تميز بالنظرة إلى





العالم كشاعر في اكتشاف الجماليات، وكرجل صلبٍ قويّ العزيمة عند الإنجاز وتحقيق الأحلام، إلى درجة يستوي فيها القول أن «سيماهمم في لغتهم» مثلما في أفعالهم، وتلك صفة لا تصح إلا عند أبناء العرب الأقحاح بالتأكيد.

«استوي نفس أبوك»، لم تكن وصية عابرة يمكن أن تقال ببساطة، لولا بعدها العملي المشروط بالفعل، ولولا معرفته رحمه الله بمناقب الآباء وهو يعظ أبناءهم ويطلب أن ينضجوا ويعملوا حتى يستحقوا لقب الأبوة مستقبلاً. وكما قام بزرع تلك القيمة الثمينة في ذلك الجيل حينها، لا بد سينقلها أولئك بأمانة إلى من سيخلفهم. فاستمرارية الشخصية العربية الأصيلة لا يمكن أن تفنى أو تتوقف أو تتباطأ.

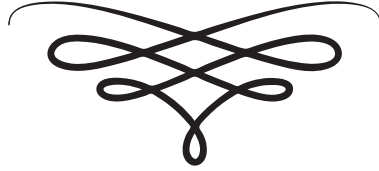
حكم الشيخ زايد، أصبحت جزءاً من تاريخ الدولة، نعتز بها وننقلها بأمانة إلى أجيالنا المتعاقبين، كي تكون جزءاً من شخصيتهم في التعامل مع تطورات الحياة ومستجداتها، فالقيم الإنسانية والوطنية، ثابتة لا تتغير مهما اختلف الزمن وتبدلت الأحوال بفعل التطور التكنولوجي وغيره، فالرهان على جوهر الإنسان هو القول الفصل الذي سيبقى نبراس هداية في عملنا، وقد بقي هذا الجوهر من أولى اهتماماته طيلة حياته، في الشعر والعمل وتكريس مكانة الدولة عربياً وعالمياً. وتراه يقول:





حايـز سمت ومعاني وحامي كل اشرفه
بارحب به ثماني لي ميّز موقفه
لي للملا ميزاني عنده ما حرّفه
النزه قدره باني والتافه ما اعرفه
تعتز به لاوطاني لي غالي ف اشرفه
ولي هوّن في المعاني يخسر في موقفه

الحياة العربية منذ سالف الأزمان حتى اليوم، تم تكثيفها في النطق والمنطق، ولا غرابة أن تتم بلورة جميع خبرات الأجيال في الحديث والحكم والشعر، فهي الفصاحة التي تشبه السهم المنطلق نحو الهدف بلا تردد أو انحراف، لأن المقياس في النهاية يرتبط بإصابة كبد المعنى، حتى تكتمل دورة الحياة بين العقل واليد واللسان.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







اعطوني زراعة..
أضمن لكم حضارة





الأرض هي الوطن، وفي ترابها سرّ الإنبات الأعظم. كل شيء يبدأ منها وإليها يعود. الأرض أمنا المجدولة بآلاف الشهداء على مر العصور، من المحيط إلى شواطئ الخليج العربي باتجاه باطن الصحراء، تحكي حبات الرمل قصتها، وتعطي حكمتها وخيرها بهيئة نخيل يقاوم عاديّات الزمن. لننصت للأرض وهي تتكلم، سنسمع صوت البيارق ونرى لمعان السيوف، حيث الخيول تنهب التلال والفرسان يبنون لبنات الحضارة الأولى.

وإذا كان البحارة يغوصون لانتشال اللؤلؤ، فالفلاحون يقلبون التراب من أجل غرس سنابل الخير وأشجار الاستمرار. إنه الحلم الذي راود الوالد الشيخ زايد، فأراد توحيدها تحت لواء واحد، لأن أكثر ما يوجع الأرض هو الانقسام، وأشد ما يقتلها هو الإهمال. لقد قبض مبكراً على السر، عندما طاف بسهولها وجبالها وبواديها واستمع لناسها، فقرر إعادة الدورة الطبيعية إلى سكّتها الصحيحة، فكانت الوحدة والاتحاد.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (فلينظر الإنسان إلى طعامه، إنّنا صبّنا الماء صبّاً ثم شققنا الأرض شقّاً فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضباً وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبّا متاعاً لكم ولأنعامكم)، واستناداً إلى التعبير الفلسفي، فإن خيرات الأرض موجودة بالقوة، لكن على الإنسان استثمارها بالعمل والتفكير والتخطيط كي تصبح موجودة بالقول، وتلك مهمة يقتضيها الإيمان بكتاب الله سبحانه





وتعالى أولاً، وثانياً الارتباط الوثيق بالأرض، فالعمل مشروط بالإيمان وهو يؤدي إلى شكر الله عز وجل على نعمه الكثيرة. تقول الآية الكريمة: (وَأَيُّ لَهِمُ الْأَرْضِ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ).

تميز الشيخ زايد بسعة الثقافة وعمق الإيمان وكان لا يلبث يعيد كلام الله تعالى في كتابه الكريم، وهو يشدد على العمل في الزراعة وضرورة رفع الإنتاج إلى مرحلة تتمكن فيها الدولة من سد حاجات المواطنين. وباعتباري أول وزير زراعة بعد تأسيس الاتحاد، فقد كنت على صلة دائمة معه وكان يستشهد بتلك الآيات التي تحض على العمل واستنبات الخير والاستزادة منه من أجل ضمان المستقبل للأجيال القادمة الذين لابد من تدريبهم على المفهوم والمنهج نفسه في التعامل مع الأرض من أجل تأمين الحاجات والتمتع بخيراته تعالى.

في عام 1973 زار الشيخ زايد رحمه الله، مقر وزارة الزراعة والثروة السمكية الاتحادية، ضمن سلسلة زيارات قرر القيام بها للوزارات، وقد أوضح حينها لوسائل الإعلام، أن طلب السكان المتزايد على الخضراوات والفواكه يتطلب تحقيق التنمية الزراعية، جنبا إلى جنب مع التنمية التي تشهدها البلاد في مختلف المجالات.





لقد هدف دائماً إلى النهوض بكافة الاختصاصات بشكل متوازٍ، الزراعة إلى جانب الصناعة والتعليم وغيرها، وقد قال في ذلك:

«إننا لا نهدف بالطبع إلى تغليب الطابع الزراعي على اقتصاد البلاد، لظروف واعتبارات متعددة، وكل ما نهدف إلى تحقيقه هو إقامة زراعة على قدر كبير من الكفاءة والتخصص، لتلبية احتياجات المواطنين من المحاصيل واستخدام الوسائل العلمية لزيادة المحاصيل ووقاية المزروعات من الآفات والتوسع في الإرشاد الزراعي، وكان أبرز التوجيهات التي ذكرها للمسؤولين في وزارة الزراعة، ضرورة تحسين أساليب الري، للحد من الإسراف أو الإفراط في استخدام المياه المتاحة في زيادة الرقعة الزراعية».

«اعطوني زراعة... أضمن لكم حضارة»، قالها الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، منذ بداية السبعينيات عندما زار المنطقة الشرقية، وقد خبر الأرض جيداً وقرأ التاريخ، ورأى أنه بالإمكان التغلب على التصحر وإعادة الخصب إلى شرايين الأرض القابلة للحث وانتاش البذور، فالإضرار ليس طارئاً على الجزيرة العربية التي كانت فردوساً قبل أن ينالها الجفاف. إنها معادلة بسيطة واضحة المعالم تتعلق بربيع الإنسان وثقافته الخصبة التي من شأنها تحويل الأرض إلى جنة. وكثيراً ما كان يستشهد بآيات من القرآن الكريم التي تركز على قدرة الإنسان على تحقيق المستحيل. وبعد إحدى زيارته للأراضي الزراعية، قال: «كانوا يقولون إن الزراعة





ليس لها مستقبل في الإمارات ولكن بحمد الله وعزمنا نجحنا في تحويل هذه الصحراء إلى أرض خضراء.

في الأمثال العربية الشعبية، يقولون إن فلاناً يده خضراء، وبالفعل كانت هذه الأرض تحتاج قائداً بحجم الوالد الشيخ زايد رحمه الله، يؤمن بالله وقدرته الإنسان على تحقيق المستحيل إذا امتلك الإيمان والإرادة والعلم، معادلة تشبه الدورة الطبيعية لنمو النباتات والأشجار التي تحتاج إلى التربة والماء والضوء، فهو يحتاج أيضاً إلى خصوبة العقل ونور الإيمان وسر المعرفة بخبايا الأمور وتفصيلها، حتى ينتج ويحقق النتائج على أكمل وجه. إنها عملية زراعة الأمل التي تميز بها، فلم يكن المستحيل وارداً في قاموسه، وهذا لم يكن مقتصرًا على الزراعة وحسب، بل كان سياسة يتبعها في جميع الشؤون الأخرى، لكن قناعته بأن الأرض هي القاعدة القوية التي يمكن البناء عليها، جعله دائماً يركز على عناصر قوتها وازدهارها وحسن علاقة الإنسان بها، تلك العملية التفاعلية بين الإنسان والبيئة، كانت هي الشغل الشاغل له، فعلى أساسها ستحدد النتائج في نهاية كل عملية تنموية يخطط لها، كأنه كان يقول إن الفردوس الحقيقي ينمو ويورق ويزدهر في داخل الإنسان قبل أن ينعكس على الأرض، لأن الإنسان لابد أن يمتلك إرادة الحرث والزرع ومقاومة التصحر بمفهومه الرمزي والواقعي، والنتائج لابد ستكون مضمونة إذا ما تم ذلك. كان يذكرنا دائماً بقول

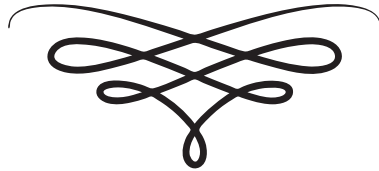




الله تعالى في كتابه الكريم: (ونزلنا من السماء ماء مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ
جَنَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ، رِزْقًا لِلْعِبَادِ
وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْثًا).

فكرت في إحدى المرات، وأنا برفقته بحجم الإيمان وبالنجاح والثقة
بقدرات الإنسان التي تجعله واثقاً دائماً من تحويل المستحيل إلى
ممكّن، والمُستبعد إلى واقع، وكان بفراسته المعهودة، يكتشف
ما يختلج في داخل المرء قبل أن يبوح، فبرّبت على كتفي، وأنا
الابن العاشق والفخور به والذي يتوق إلى نهل المزيد من هذا النبع،
ويقول: الربيع في العقل والقلب، وإذا ما أزهّر الإنسان، ستري ذلك
ينعكس على الأرض، وستري أن المستحيل ممكن ولا ينقصه سوى
الإمكانيات واتخاذ القرار.

الأمة التي تأكل من خيراتها، لا تصيبها القلّة، والشعب الذي يلبس
مما ينسج، لا يعزى مهما ساءت الظروف. إن في الأرض ماء تحمينا من
العطش، وفي ترابها تاريخ يدفعنا دائماً إلى الأمام. هكذا كانت دائماً
حكم الأب في تدريب أبنائه على الحياة وتحويل المستحيل إلى واقع.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







الأمن الغذائي في الزراعة والثروة السمكية





المسؤوليات كانت كبيرة جداً أمام جميع الوزراء من أجل النهوض ووضع خطط التنمية وتحقيق الإنجازات فعلياً على الأرض. ففي الثامن عشر من يوليو 1974، قدمتُ الخطة باعتباري وزيراً للزراعة والثروة السمكية، وعملت فيها على وضع الأهداف التي كثيراً ما حدثني عنها الشيخ زايد بحيث نحقق أعلى نسبة من الأمن الغذائي عبر توسيع رقعة المساحات المزروعة ودعمها بالتقنيات الحديثة وحفر الآبار وتطوير أساليب الحصول على الثروة السمكية.

انطلق رحمه الله دائماً من قاعدة التلازم بين البيئة والإنسان، وكان يرى بأن قوة هذين الطرفين ومتانة الصلات بينهما، هي الأساس في البناء الحضاري الذي سيقام عليهما ومن أجل خيرهما. وكان يقول بشكل مستمر إنه لا يمكن أن نتطور تكنولوجياً واقتصادياً وتعليمياً ونفرض وجودنا في هذا العالم المتسارع في التقدم، إذا لم نضمن قوة العلاقة بين الإنسان والبيئة، فهو كان يعلم بأنها الدعامة التي ستحمل كل المشاريع المستقبلية. وعندما نتحدث عن هذه العلاقة القوية بين البيئة والإنسان، ستأتي الزراعة وحسن استثمار مقومات البيئة في مقدمة الأولويات التي يجب الاعتناء بها. بعد تقديم الخطة الزراعية من قبلي كوزير للزراعة، قال لي ذات مرة:

«إنني أحب أن أوفر لكل مواطن حاجته من ماء صالح عذب، وأرض طيبة خصبة تجود بالخير والبركة، حتى تتعمق محبة أرض الآباء





والأجداد في نفوس أبناء بلدنا، وفي هذا السبيل لا نبخل على تطوير الزراعة وتأمين مصالح المزارعين وإمدادهم بالمال والخبرة وتشجيع المشاريع النافعة لتأمين نهضة زراعية شاملة».

في هذا الكلام، تلخصت نظرتَه إلى العملية التطورية التي سلكتها الدولة في السنوات اللاحقة، فالشيخ الوالد زايد رحمه الله، لم يكن يتكلم عن عبث، بل عن معرفة شاملة بطبيعة المرحلة التي ستدخلها الدولة بعد التأسيس القوي لعلاقة الإنسان بالبيئة، لذلك أخذ النقاش حول الخطة الزراعية الكثير من الاهتمام والعناية من قبله. وعلى سبيل المثال، كان يمتلك خبرة في طبيعة الأرض وجغرافيتها والمواسم المطرية التي تمر عليها خلال السنة، وبالطبع كان يستعين بآراء المختصين بهذا المجال الذين يدلون بآرائهم العلمية في هذا المجال كي تكون الحلول مبنية على أسس سليمة، وبناء على توجيهاته قامت الوزارة بوضع الخطط لإدارة مصادر المياه واستغلالها بالشكل الأمثل في الري، وقد أعددتُ مشروعاً لإقامة السدود الترابية في كل من وادي «شوكة» ووادي «سكمكم» وسد في رأس الخيمة، لزيادة مخزون المياه الجوفية وتخفيض نسبة الملوحة في المناطق الزراعية والريفية. هذا النوع من المشاريع الجوهرية هي ما كان يركز عليه لأنها تعني وضع الحلول العملية والدائمة للمشاكل التي تعاني منها الزراعة.

بالعودة إلى الخطة الزراعية التي تم عرضها أمام مجلس الوزراء في الثامن عشر من يوليو 1974، فقد تمحورت حول ثلاث نقاط:





- التوسع الأفقي لزراعة مساحات جديدة من الأرض لمواجهة الزيادة في عدد السكان.
- إنتاج المزيد من الخضراوات اللازمة لسد احتياجات الناس والعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي.
- تحسين وسائل الزراعة واستخدام الوسائل الحديثة والاعتماد على الأبحاث العلمية لزيادة الإنتاج الزراعي بتقوية التربة وحسن استخدام الموارد ورفع مستوى المزارع في دولة الإمارات العربية المتحدة.

الخطة الزراعية شملت الاهتمام بثلاثة محاور أساسية هي الثروة السمكية والثروة الحيوانية والثروة النباتية. وقد لاقت استحسانه وموافقته رحمه الله، وبناء عليه بدأنا العمل وتمكنا من تحقيق إنجازات جيدة خلال فترة بسيطة، ففي مجال الثروة السمكية، قامت الوزارة بإصلاح من المكائن البحرية للمواطنين في ورشها..

كما قامت الوزارة بتسلم الطلبات من 424 مواطناً من الراغبين في الحصول على القروض لشراء مكائن بحرية، والكشف عن قواربهم وإتمام معاملاتهم واستقبال الخبراء من الشركات البريطانية لتعليب الأسماك إلى جانب خبير من الأمم المتحدة للمسح التعاون لأسماك منطقة الخليج.

أما في مجال الثروة الحيوانية، فقد تم إعداد دراسة علمية عن





الثروة الحيوانية والخدمات البيطرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتم تسليم فرع مزرعة الأبقار الهولندية بالدقاقة لحكومة رأس الخيمة، وبدأت عملية تطويرية شاملة لهذه الثروة قوامها الاطلاع على تجارب الدول المتطورة واعتماد الأساليب العلمية كمنهج في العمل.

في مجال الثروة النباتية، تم تصليح وتركيب المكائن والمضخات بواسطة فرق الوزارة المنتشرة في المناطق، ومنها 1297 ماكينة في رأس الخيمة، 832 ماكينة في الفجيرة، 731 ماكينة في الشارقة، 273 في أم القيوين، و223 في عجمان. كما تم حفر أكثر من 21 بئراً في الشارقة و15 بئراً في رأس الخيمة، و9 آبار في أم القيوين، و6 آبار في الفجيرة، وتم إصلاح الأفلاج في الغرفة بالفجيرة، والمورد في رأس الخيمة.

الخطط كانت تنطلق بثقة وتصميم على النجاح، وكانت متابعة الوالد الشيخ زايد رحمه الله، مستمرة ومباشرة، فقد كان يشدد على الوصول إلى نتائج عملية في كل مرحلة، بحيث نحصل على أرقام وإحصائيات بأسلوب علمي واضح. وبناء عليه، قام قسم التربة بإجراء تحليل لنماذج من التربة التي تم جمعها من محطات الوزارة لقياس الملوحة فيها. كما قام قسم المياه بمتابعة دراسة المعلومات التي تم جمعها من محطات الأرصاد وأعدت دراسة عن المياه الجوفية. وفي مجال الإرشاد الزراعي تولت الوزارة إرشاد





المزارعين ومساعدتهم في عمليات الحراثة ومكافحة الآفات الزراعية وقد بلغ عدد المزارعين الذين تمت زيارتهم وإرشادهم 5085، كما بلغ عدد المستفيدين من خدمات الحراثة 1038 مزارعاً.

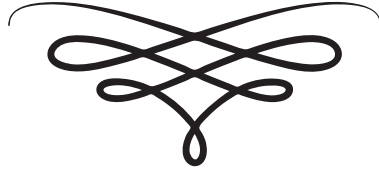
ما نودّ قوله هنا، أن ورشات العمل التي انطلقت في جميع الميادين، كانت مثل خلايا النحل العاملة ليلاً نهاراً، فالتوجهات من قبل الشيخ زايد رحمه الله، كانت واضحة وملحة بضرورة الوصول إلى نتائج في كل أمر نبدأ به، وكان سموه يقدم كل التسهيلات من أجل نجاح هذه الأعمال مثل استقدام الآلات والمعدات من الخارج، بالإضافة إلى استقطاب الخبرات والاستفادة من خبرات الدول الصديقة والشقيقة.

نشأت علاقات قوية ومستمرة مع الدول العربية والعالمية من أجل تنمية الجوانب الزراعية والاطلاع على التجارب العالمية والإقليمية، وبدأت الوفود المتبادلة تلتقي في دولة الإمارات وعلى أراضي الدول الصديقة، من أجل زيادة التعاون وبحث إمكانيات التطوير لتعود الفائدة على الجميع. صار لنا علاقات مع معظم الدول العربية والعالمية، وراحت التجربة الزراعية الإماراتية تكبر وتتطور مستفيدة من الاكتشافات العلمية ومن المعدات وأساليب الري واكتشاف المياه الجوفية والخلاص من ملوحة التربة. كانت فترة تأسيسية مليئة بالعمل الجاد والإصرار على تجاوز الصعوبات والتغلب عليها. ولن أقول إننا في تلك المرحلة إلى كل ما نريد





تحقيقه، لكننا قطعنا شوطاً بعيداً في التأسيس وانطلاق عملية تحسين الإنتاج الزراعي وزيادة الثروة السمكية. والفضل في ذلك لتوجيهات الشيخ زايد الذي كان يتابع كل التفاصيل شخصياً ليس على صعيد وزارة الزراعة وحسب، بل على صعيد جميع الوزارات الأخرى. كان لا ينسى أي تفصيل صغير في أية خطة عرضت عليه، وكان الجميع يتفاجؤون من تذكره الدائم للأرقام والتفاصيل التي تم الحديث عنها في الخطط، وسؤاله إلى أين وصلت الإنجازات مقارنة بالمراحل السابقة. كان سموه موسوعة كبيرة في العلم والمتابعة وحسن التخطيط.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







الآن أعلم أنني ربحت





العبارات المختصرة التي كان يقولها الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، كانت تختصر تجربة كاملة من العمل وفكر عميق في القيادة وبناء المجتمع. «الآن أعلم أنني ربحت»، قالها بعد زيارة للمدارس في المنطقة الشرقية، ولقائه مع الطلاب واستماعه لكلامهم وآرائهم وطلباتهم. وكعاداته كان يفاجئنا بطلب زيارة بيت أو مدرسة أو معمل أو مؤسسة حكومية. وفي كل مرة كانت العبرة من تلك الزيارة تتعدى التوقعات وتأخذ أبعاداً كبيرة في فهمه للتخطيط الاستراتيجي.

كانت إدارات المدارس تتفاجأ بزيارة الشيخ زايد، ويهرع الجميع مرتبكين لإلقاء التحية وتقديم الضيافة والاحتفاء به بشكل كبير، لكن الشيخ زايد، كان يطلب منهم أن يبقوا طبيعيين ويتابعوا أعمالهم لأنه يحب أن يرى كل شيء على طبيعته.

ذات مرة دخل على بعض قاعات التدريس، وألقى التحية على الطلاب، ثم خاطبهم بالقول: «أنتم جيل المستقبل القادم، وستحملون مسؤولية بناء الوطن ومتابعة عملية التطوير والإزدهار، ويجب عليكم أن تكونوا على حجم تلك المسؤولية عندما تصبحون رجالاً أشداء. ذلك كله لن يحصل إذا لم تتفوقوا بالدراسة وتتابعوا تحصيلكم العلمي حتى تنالوا أعلى الدرجات. الوطن بحاجة إلى علمكم وأخلاقكم، وسنكون، نحن أجدادكم، بانتظار أن تكملوا المسيرة على أكمل وجه وبنجاح كبير».





كان يسعد كثيراً وهو يستمع إلى حديث الطلاب صغار العمر، لأنه كان يراهن دائماً على تلك البراعة التي تقول كل ما في قلبها دون تردد وبشكل مباشر. ابتسم كثيراً في تلك الزيارة وهو يستمع إلى طلبات التلاميذ ويحققها لهم على الفور. كما وعدهم بزيارات لاحقة عندما ينتهي الامتحان وتظهر الدرجات التي نالوها، من أجل تكريم المتفوقين وتشجيعهم بكل السبل.

حرص رحمه الله على استقبال البعثات العائدة كل سنة بعد إنهاء الدراسة في الخارج. وكان يطلع على شهاداتهم ويسألهم عن اختصاصاتهم والفوائد المعرفية التي جنوها من دراستهم في الجامعات الغربية. وعندما كان يقول «الآن أعلم أنني ربحت»، كان الجميع يتأكد أنه راضٍ عن النتائج ويراهن عليها في المستقبل. فتلك النتائج التي حققها الطلاب في دراساتهم المدرسية والجامعية، كان لها الدور الكبير في التخطيط المستقبلي لدولة الاتحاد التي كانت في سنواتها الأولى من التأسيس، ويلزمها الكثير من الخبرات الوطنية والرجال الأشداء في العلم والسياسة والثقافة والاقتصاد.

خرجنا من إحدى المدارس في ضواحي الفجيرة، بعد زيارة التقى فيها بالكادر التدريسي والطلاب واستمع خلال اللقاء إلى آراء الطلاب وطلباتهم، ثم زودهم بتعليماته ووعدهم بزيارة قريبة بعد نهاية الامتحانات من أجل الاحتفاء بالنتائج التي سيحققونها.





ونحن في الطريق، قال: «إن الأسلوب الأمثل لبناء المجتمع يبدأ ببناء المواطن المتعلم، لأن العلم يؤدي إلى تحقيق المستوى المطلوب، وواجب كل مواطن هو العمل على تنمية قدراته ورفع مستواه العلمي ليشارك في بناء مسيرة الاتحاد من أجل حياة أفضل». كان يشير بيده إلى بناء المدرسة ويقول: «هل ترى هذا البناء الذي يبدو من الناحية المادية عبارة عن بناء أصم من حجر، إنما في الحقيقة يضم الكنز الحقيقي الذي سنجنه خلال السنوات القادمة. هنا المستقبل المشرق الذي علينا رعايته حتى يقوم بمهامه الكبرى».

أدرك منذ البداية، أن التعليم هو القاعدة الأساسية في بناء الوطن، لذلك أولى الطلبة العناية الكبرى بدءاً من مرحلتهم الأولى في المدارس إلى الجامعات ووصولهم إلى التخصصات الدقيقة، وتلقي العلم بشكل معمق وتفصيلي. «كانت الجامعات وستظل دائماً المشاغل التي ستنير طريق المدنية، وتمهد السبل للراقي والتقدم» قالها للأبناء الصغار في المدارس كي يحفزهم على ارتياد الجامعات والتفوق فيها، وكررها لطلبة الجامعة حتى يتميزوا في دراستهم ويردوا الجميل للوطن عبر العمل والإنتاج. إنها فلسفة الاستثمار بالإنسان وديمومة التنمية عبر الإنسان، فالإنسان في نظر سموه هو الضمانة الأكبر لاستمرار الإزدهار، وليس المعامل أو المصانع أو الأشياء المادية التي لا تبنى إلا





بالإنسان السليم فكرياً وعلمياً وأخلاقياً. لهذا كله ركز سموه على تراث الأجداد، ولم يكن يعني التطور بالنسبة إليه، انسلاخ عن الماضي، بل تمسك به وتقديمه بشكل حديث إلى الأجيال القادمة وللعالم في الثقافات الأخرى..

في جميع زيارات الوالد الشيخ زايد رحمه الله، إلى المدارس وحضوره الأنشطة والمهرجان والمعارض التي كان يقيمها الطلاب، كانت تتضح رؤيته العميقة إلى هذه الشريحة الهامة في المجتمع. فيقوم بتوجيهها والثناء عليها وتحفيزها من أجل تقديم المزيد. ففي السادس والعشرين من أبريل عام 1983، حضر المهرجان الختامي للنشاط المدرسي، وقد سُرَّ كثيراً بالأشكال الفنية التي صنعها الطلاب من مكونات البيئة المحلية المتوفرة لديهم. عندها قال: «إن هذه الأعمال تنبئ بمستقبل علمي سليم لأبنائنا الطلاب، حيث يبدأ النشء صغيراً ثم يكبر بفضل الرعاية والتوجيه السليم. إن الإنسان يضع حبة في الأرض ومع رعايتها تصبح شجرة مثمرة يستفيد منها الإنسان... يجب أن نعطي أبنائنا اهتماماً خاصاً بمعرفة بلادهم والمناطق التي يعيشون فيها. يجب أن يعرفوا كل منطقة من مناطق دولة الامارات العربية المتحدة وانطلاقاً من معرفتهم لبلادهم تنطلق معرفتهم إلى الدول العربية والشقيقة».

كان البعد القومي في التربية حاضراً دائماً في توجهاته





المستقبلية فقد كان يشير دائماً إلى التركيز إلى رابطة العروبة وضرورة تنمية الشعور القومي، إلى جانب الاعتزاز بالدين الإسلامي والحفاظ على العادات والتقاليد. ومثلما كان يوفر للطلاب كل مستلزماتهم المادية والنفسية، كان يطالبهم أيضاً بالإنتاج والنجاح وخدمة الوطن عبر العمل.

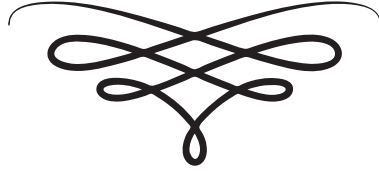
لا شك أن المرحلة التأسيسية للاتحاد كانت مليئة بالمهام الجسام التي حملها الشيخ زايد بكل اقتدار وبأس، فقد أيقن منذ البداية أن السفينة حتى تبحر، لابد أن تمتلك مقومات الصمود أمام الأمواج والأشعة القوية والمتانة في مواجهة الأنواء، والأهم من ذلك كله البحارة الخبراء القادرين على شق الطريق بثقة وإيمان. وذلك لا يمكن أن يتحقق بالطبع من دون العلم وإعداد الأجيال في الاختصاصات كافة.

انطلق زايد دائماً من قاعدة معرفية تأسيسية للمشاريع المادية، وكان على ثقة دائمة بإمكانيات الشعب وقدره الأجيال على النجاح في الصناعة والزراعة والتجارة، إذا تم التأسيس عبر العلم بشكل صحيح. كل ما كان يشغل باله على الدوام، هو زيادة الخبرات وتنمية الكوادر البشرية، لهذا كان يركز على مرحلة الطفولة والدراسية الابتدائية التي تعتبر بمثابة اللبنة الأساسية في تكوين الشخصية. كان يقول رحمه الله.





«إن موضوع رعاية الطفولة ضمن خطط التنمية الشاملة وتجهيز الطاقات البشرية القادرة على النهوض بالمهام الجسام التي تنتظر أمتنا، تعد من أهم موضوعات الساعة وأعظمها أثراً على تطور حياة شعوبنا ومستقبل أبنائنا وأحفادنا. إن التنمية وسيلة وليست غاية في حد ذاتها، وإنها وسيلة لضمان كرامة الإنسان وتوفير متطلبات الحياة له من طعام ومسكن وتعليم ورعاية صحية واجتماعية وفرص عمل وإنتاج».





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







التعليم يعني بناء الإنسان





لأن التعليم يعتبر جزءاً مهماً في بناء الإنسان الجديد، الذي سعى إلى تأسيسه الشيخ زايد فقد نال هذا الجانب الاهتمام الكبير منه. وكان همه الأساسي إعداد الكوادر القادرة على تحمل مسؤولية قيادة المؤسسات بخبرة وذكاء تواكب التطورات الاقتصادية والثقافية العالمية. اشتغل الشيخ زايد على تأسيس جناحين قويين في دولة الإمارات العربية المتحدة الجديدة، الأول جناح التعليم الحديث ومواكبة التطور، والثاني يتصل بالمحافظة على التراث والثقافة العربية التي رآها قادرة على المواكبة والإبداع لأنها تملك رصيذاً كبيراً من الحضارة ويعود إليها الفضل في تطور البشرية جمعاء.

كان من عشاق الشاعر أبي الطيب المتنبي، وكثيراً ما كان يستشهد بأشعاره عند الحديث عن مواضيع العلم والثقافة ولأنه كان من محبيه اشعاره ويحفظها عن ظهر قلب اهداني تسجيلات من اشعار المتنبي بلسان أحد الممثلين العرب نظراً لجمال صوته وفخامته أظنه الفنان اللبناني الكبير عبد المجيد مجذوب. ولعل بيت المتنبي الشهير القائل:

الخيال والليل والبيداء تعرفني... والسيف والرمح والقرطاس والقلم.

من بيوت الشعر التي حازت على إعجابه فهو يتضمن معاني العلم والرجولة، الشجاعة والبصيرة المتقدمة. هكذا كان يقول لي عندما يناقش أمراً خاصاً بإعداد الأجيال أو بناء المدارس والجامعات.





فبعد افتتاح جامعة الإمارات عام 1976، أخبرني بأهمية الخطوة، وكنا حينها في مدينة العين بعد أن أنهينا أعمالنا في أبوظبي. في ذلك الوقت قال:

النجاح بالنسبة لي هو أن نبني جيلاً مرتبطاً بالتراث العربي وموakباً في الوقت نفسه للتطورات» الحضارية ومساهمات فيها. إنها معادلة ليست سهلة بالتأكيد ويلزمها الكثير من التأسيس والعناية والصبر، لكن تاريخنا المجيد يؤكد أننا أمة قادرة على النهوض، لأن أجدادنا في السابق قدموا «لل بشرية الشيء الكثير من المخترعات والاكتشافات، واليوم لابد أن نفعل نحن الشيء نفسه

تصاعدت حركة التعليم في الدولة بشكل كبير، وبدأت عملية نشطة في بناء المدارس وتأسيس الجامعات وإرسال البعثات للاختصاص في الخارج، وكان الشيخ زايد ينتظر أن يمضي الزمن المطلوب بفارغ الصبر، فتعود تلك البعثات منهيّة دراستها بتفوق ونجاح لأن أماكن عملها كانت محجوزة سلفاً، فهو في الجانب الاقتصادي والزراعي والصناعي، كان يبني ويجهز لتلك الكوادر كي تستلم الإدارات وتتابع المسيرة بذهنية الشباب المتفتح العارف والمتقن للأساليب العلمية.

من أهم ميزاته رحمه الله أنه كان قادراً بشكل دائم على تلافي العثرات وتذليل الصعاب، وقد مرت مسيرة التعليم العالي





الجامعي، بالعديد من الخطوات والتعديلات حتى استقرت وبدأت الإمارات تحصد سمعة دولية مرموقة في الدراسات العليا. كان يقول دائماً: «لا تكمن المشكلة في أن نخطئ، بل في أن نستمر في الخطأ. فالإنسان السليم والعملي هو من يستفيد دائماً من الأخطاء الحاصلة ويزيد عبرها خبرته في التعامل مع المستجدات. لذلك يجب على المرء ألا يشعر بالهزيمة أو اليأس، بل عليه دائماً أن يبحث عن حلول ويجد المخارج لمتابعة الطريق الموصل للهدف».

عندما تم تأسيس جامعة زايد عام 1998، كانت الدولة قد قطعت مشواراً كبيراً على طريق العلم وواكبت الأساليب العالمية في التدريس، واستقدمت الخبرات العالمية، بحيث أصبحت هذه الجامعة خلال مدة بسيطة من الجامعات المرموقة التي يسعى جميع الطلاب العرب والأجانب للدراسة فيها.

وجاء في الرؤيا التأسيسية لجامعة زايد، أنها «تهدف إلى تمكين أجيال من القادة، قادرين على تصور المستقبل، شغوفين بالمعرفة والابتكار قادرين على تنمية الذات واستباق التحديات، يستلهمون الريادة من إرث الشيخ زايد وقيمه الخالدة». هذه الكلمات مستمدة عملياً من أقواله ومن رؤيته في التركيز على الإبداع وتنميته بهدف بناء المهارات والخبرات للحصول على أهم الكوادر في المستقبل. فالمسيرة التي بدأها الاتحاد عام 1971، كان لابد من تدعيمها بالعلم الذي من دونه سيبقى أداء المؤسسات ناقصاً وغير مدروس بالشكل





الصحيح. ويستطيع المتابع أن يكتشف لاحقاً، عبر الإحصاءات والأرقام، مدى انعكاس التطور التعليمي على قطاعات الاقتصاد والثقافة والإعلام والتربية وغير ذلك من الجوانب، ذلك أنه كلما اكتملت عملية بناء الكوادر عبر التعليم، كلما ارتفع مستوى الأداء على الأرض وضمن المؤسسات، لأن الخبرات كان من شأنها أن توصل إلى نتائج مرضية وهذا قانون علمي لا يختلف عليه أحد.

كان يُسرّ كثيراً لمشهد الطلاب وهم يمسكون بالكتب ويدرسون، وخلال الزيارات التي تحدثنا عنها إلى المدارس، كان يطلب من أحد الطلاب أن يمسك كتاب القراءة ويقرأ بعض النصوص، بينما كان يبتسم بسعادة وهو يتأمل المعاني، كما كان يعتمد إلى تصحيح الأخطاء اللغوية التي يقع فيها الطالب إن وجدت. امتاز الشيخ زايد بإجادة الشعر، وتلقي علوم العربية من بيئتها الأساسية بشكل فطري، لهذا كان الخطأ اللغوي يجعله ينتبه مباشرة، فيقول للطالب أعد القراءة. في إحدى المرات وبعد أن استمع إلى قراءة أحد الطلبة، قال:

«الكتاب هو وعاء العلم والحضارة والثقافة والمعرفة والآداب والفنون، وإن الأمم لا تقاس بثرواتها المادية وحدها، وإنما تقاس بأصالتها الحضارية، والكتاب هو أساس هذه الأصالة والعامل الرئيسي على تأكيدها».





انشغل الشيخ زايد دائماً بمد الجسور مع التراث، ولم تكن جلسة أو لقاء إلا ويذكر مثلاً شعبياً عربياً قديماً، أو بيت شعر، أو آية قرآنية من كتاب الله عز وجل. وأعتقد أن نقطة القوة التي امتلكها الشيخ زايد كانت في ذلك التوازن بين العصر والتراث، بين الدين الإسلامي وتطورات العالم. فهو لم ير أي تناقض بين الطرفين، بل على العكس كان يدأب دائماً على التأسيس بناء على الدين والتراث، ويقول إن الله أعطانا العقل كي نبدع ونطور حياتنا ونتدبر شؤوننا حسب ظروف الحياة، مع الحفاظ على الأساسيات المتعلقة بالإيمان. وبالتالي لم يكن رحمه الله صاحب نظرة ضيقة للإسلام، بل كان يرى الإسلام بوابة لتطور البشرية وللتسامح بين الشعوب. وكثيراً ما ردّد هذه المفاهيم وكررها بالقول:

«لن تكون هناك ثروة بشرية حقيقية ومؤهلة وقادرة على بناء الوطن، إن لم تتمسك بمبادئ ديننا الحنيف، وشريعتنا السمحاء لأن القرآن الكريم هو أساس الإيمان، وجوهر الحياة والتقدم عبر الأجيال».

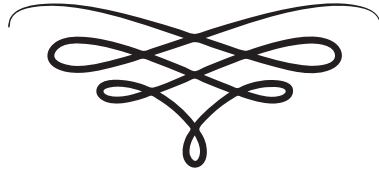
أكثر ما كان يغضبه تقاعس الأسرة في إرسال أبنائها إلى المدارس ومتابعة دراستهم بشكل سليم وصحيح. خاصة أنه وفر للجميع فرصة التعليم المجاني في جميع المراحل، كما وفر الميزانية الكافية لتأمين متطلبات الطلاب بحيث يتفرغون للدراسة ولا يشكلون عبئاً على أهاليهم. من هذا المنطلق، كان يؤكد دائماً أن





التعليم واجب قومي، وليس طموحاً فردياً فقط، لأن الواجب تجاه الوطن يجعل المرء يسارع إلى تطوير نفسه من أجل أن يكون عضواً فعالاً في المجتمع وشخصاً منتجاً قادراً على العطاء وإفادة أبناء مجتمعه بطريقة من الطرق. يقول في ذلك: «إن نشر التعليم هو واجب قومي، والدولة وفّرت كل الإمكانيات من أجل بناء جيل الغد، وتعويض ما فاتنا وهذا الأمر يضع العلم في أعز مكانة وأرفع قدر. لن تكون هناك ثروة بشرية حقيقية ومؤهلة وقادرة على بناء الوطن، إن لم تتمسك بمبادئ ديننا الحنيف، وشريعتنا السمحاء لأن القرآن الكريم هو أساس الإيمان، وجوهر الحياة والتقدم عبر الأجيال».

إن المفاهيم الفلسفية والمعرفية العميقة التي كان يطرحها في كل مناسبة، هي بمثابة النبع الذي لا ينضب، ويجب على الجميع أن ينهلوا منها في كل مناسبة لأنها زوادة الأجيال وهاديتهم إلى الطريق الصواب في بناء الدولة الحديثة ودعم استمرارها قوية منيعة متطورة.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







العلاقات الدولية





تأكيد

حضور الإمارات العربية المتحدة على الساحة العربية والدولية، كان من الأهداف الرئيسية للشيخ زايد رحمه الله. فمنذ الإعلان عن قيام الاتحاد عام 1976، بدأ المسؤولون سلسلة زيارات إلى الدول العربية والعالمية، بهدف إطلاعهم على التجربة الإماراتية الجديدة، ومد خطوط التعاون والاستفادة من الخبرات في عملية البناء الداخلي للاتحاد. وخلال السنوات الأولى التي تلت الإعلان عن الاتحاد، قمت بتوجيهات منه رحمه الله، بين عامي 1974 - 1975 بزيارة الأردن ومصر وتونس، ثم الولايات المتحدة والأمم المتحدة واليابان وسلطنة عمان والأردن. كما تم التواصل مع المنظمات الدولية العاملة في المجالات الصحية والزراعية والاقتصادية والاجتماعية، وبدأت الإمارات تقدم رؤيتها في المحافل الدولية وتشارك في رسم خطوط السياسة العالمية.

رؤية الشيخ زايد، اتصفت بالتوازن والإلمام بكل شيء، بحيث لم يكن يهمل أمراً داخلياً أم خارجياً. وقد شهدت بداية السبعينيات العديد من الأحداث المفصلية مثل حرب أكتوبر ضد إسرائيل عام 1973، وقد كان له مواقف مشرفة في تبني قضية العرب والدفاع عن الشعب الفلسطيني ومساندة سوريا مصر في الحرب، حيث تحتاج هذه الحرب إلى حديث مفصل يتناولها بشكل خاص جعلت من زايد أحد أبرز أبطال حرب أكتوبر وهي حقيقة عرفها كل من عاشره، كان زعيماً عربياً من خلال دولة ترسم ملامحها وتمضي بهدوء نحو الامام.





وفي السنوات اللاحقة، تعاظم الدور الإماراتي العالمي وأصبح حضورها أساسياً في جميع القمم الإسلامية والعربية والدولية، وقد كان لي شرف تمثيل الدولة بتكليف من الوالد الشيخ في الكثير من هذه الاجتماعات الهامة، ومنها القمة الإسلامية في إسلام آباد عام 1997، وقمة الألفية في نيويورك عام 2000، وقمة الدول المنتجة للنفط «أوبك» في العام نفسه، والقمة الإسلامية التاسعة في الدوحة عام 2000 أيضاً، والمؤتمر العالمي للتنمية المستدامة في جوهانسبورغ عام 2002، وقمة عدم الانحياز في ماليزيا عام 2003، ومؤتمر القمة العربية في تونس عام 2004 وغيرها ليتواصل النهج نفسه بعد رحيل الوالد الشيخ زايد طيب الله ثراه.

تمكن الشيخ زايد، من تأسيس بنية قوية من العلاقات الدولية، وتميزت دولة الإمارات العربية المتحدة، بخطابها العقلاني المناصر للقضايا العادلة في العالم والمدافع عن البيئة والمكافح للأمراض والفقر والبطالة. ولم يكن يتردد بتقديم المساعدات العاجلة لمختلف البلدان الفقيرة إلى جانب بناء المشافي والمشاريع الاقتصادية وتقديم التبرعات بمختلف أشكالها لجميع المحتاجين في العالم.

مع قيام دولة الإمارات، اتسع نطاق العمل الخيري للمغفور له الشيخ زايد، ليشمل جميع أنحاء العالم، وبلغت قيمة المساعدات التنموية والإنسانية التي أمر بتوجيهها منذ عام 1971 حتى 2004 واستفادت منها 117 دولة نحو 90.5 مليار درهم، وفقاً لتقرير صادر عن وزارة التنمية





والتعاون الدولي آنذاك. فيما بلغت قيمة البرامج الإغاثية والمبادرات الإنسانية التي أمر الوالد الشيخ طيّب الله ثراه، وتم تنفيذها عبر الهلال الأحمر الإماراتي في الفترة من 1993 وحتى 2003 مليارات 849 مليوناً و409 آلاف و914 درهماً، استفادت منها 21 دولة حول العالم، فيما بلغت المشاريع التنموية 595 مليوناً و708 آلاف درهم، استفادت منها أربع دول شملت فلسطين والعراق وأفغانستان وكوسوفو.

كان رحمه الله، رمزاً للعطاء وتقديم العون لكل محتاج في أي منطقة بالعالم، وقد تحولت الإمارات في عهده إلى أهم الدول المساهمة في العمل الإنساني والإغاثي على مستوى العالم وها هي اليوم بفضل إرثه تحتل الصدارة عالمياً كأكبر جهة مانحة للمساعدات الخارجية. ففي عام 1981 تم تقديم قرضين لدولة البحرين بقيمة 160 مليون درهم لتمويل المشروعات الكهربائية والصناعية، وفي عام 1972 قرر سموه مساعدة اليمن بإنشاء إذاعة صنعاء، وفي عام 1974 قدم مبلغاً إضافياً قدره مليون و710 آلاف دولار لتكملة مشروع الإذاعة والتلفزيون في اليمن، وبتوجيهات من الشيخ الوالد زايد رحمه الله، قدمت دولة الإمارات مساعدة عاجلة وقدرها 3 ملايين دولار لتخفيف آثار الفيضانات والسيول التي اجتاحت جمهورية اليمن في التسعينيات من القرن الماضي.

أما مصر فقد بنى الشيخ زايد فيها عدداً من المدن السكنية السياحية وأمر باستصلاح عشرات الآلاف من الأراضي الزراعية وإقامة العديد من





القرى السياحية وتقديم الدعم المادي للمراكز والمستشفيات الطبية. وبعد حرب أكتوبر، تكفل بمساعدة مصر على إعادة إعمار مدن قناة السويس «السويس-الإسماعيلية-بور سعيد» التي كانت قد دُمرت في العدوان الإسرائيلي عليها عام 1967. كما تبرع سموه في العام 1990 خلال مشاركته في الاحتفال التاريخي العالمي الذي أقيم في أسوان بجمهورية مصر العربية بمبلغ عشرين مليون دولار وذلك لإحياء مكتبة الإسكندرية القديمة. وفي المغرب هناك عشرات المشاريع التي تحمل اسم «زايد» إضافة إلى القروض الكثيرة. أما في فلسطين فيعد مشروع ضاحية الشيخ زايد في القدس الذي تكلف نحو 15 مليون درهم واحداً من أبرز المشاريع التي وجه الشيخ زايد بتنفيذها في فلسطين إلى جانب مشاريع أخرى منها إعمار مخيم جنين الذي تكلف إنشاؤه نحو 100 مليون درهم وبناء مدينة الشيخ زايد في غزة بتكلفة بلغت نحو 220 مليون درهم ومدينة الشيخ خليفة في رفح والحي الإماراتي في خان يونس إضافة إلى العديد من المستشفيات والمدارس والمراكز الصحية ومراكز المعاقين التي انتشرت في القرى والمخيمات والمدن الفلسطينية في غزة والضفة الغربية.

وشكلت مساعدات الشيخ زايد إلى السودان أبرز ملامح العطاءات الخيرية حيث تبرع بإنشاء كلية الطب ومستشفى ناصر بمدينة ود مدني السودانية، وتم تقديم مبلغ 3 ملايين دولار أميركي لمشاريع مياه الشرب في السودان... كما قدم «صندوق أبوظبي للإنماء





الاقتصادي العربي» قرضاً بقيمة 5، 16 مليون درهم لمشروع التنمية الريفية في منطقة دارفور بغرب السودان.

واهتم الشيخ زايد بمساعدة لبنان من خلال مبادرته بنزع الألغام التي خلفها الاحتلال الإسرائيلي للجنوب وعلى نفقته الخاصة وكذلك اهتم بأن تقوم الإمارات بدور فاعل في عملية إعادة بناء لبنان بعد الحرب فقدمت الدولة المساعدات المالية والهبات والقروض للمشاريع الحيوية والتنمية.

ونالت سوريا في عهد الشيخ زايد قسطاً وفيراً من الدعم للمشاريع الخيرية والتنمية حيث وقع «صندوق أبوظبي للإنماء الاقتصادي العربي» في دمشق ثلاث اتفاقيات مع سوريا لتمويل ثلاثة مشاريع صناعية بقيمة 911 مليون درهم.

وعلى الصعيد الدولي وفي باكستان على سبيل المثال تقف مدن كراتشي ولاهور وبيشاور شامخة مزهوة بالمراكز الإسلامية الثلاثة التي أقامها الشيخ زايد لنشر الثقافة الإسلامية والعربية بين أبناء باكستان إضافة إلى تمهيد وتوسيع الطريق الجبلي من مدينة خاران وبناء مسجد دالي وحفر آبار المياه وبناء المساجد والمدارس والمساكن.

وتبرع مؤسس الدولة في عام 1982 بمبلغ 500 ألف دولار لمشروع مبنى الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة في كراتشي كما وجه بتقديم المساعدات الطبية والمنح الدراسية والمساعدات العاجلة





لضحايا الزلازل والفيضانات.

وتجاوزت المشاريع الخيرية الإماراتية في عهد الشيخ زايد نطاق العالم العربي والإسلامي وامتدت لتشمل دول العالم أجمع، ففي عام 1992 تبرعت دولة الإمارات بخمسة ملايين دولار لصندوق إغاثة الكوارث الأميركي لمساعدة منكوبي وضحايا إعصار اندرو الذي ضرب ولاية فلوريدا الأميركية.

ويسجل التاريخ مواقف مشرفة للشيخ زايد في نصره ودعم شعب البوسنة والهرسك خلال تعرضه لأبشع جرائم الحرب في تسعينات القرن الماضي حيث وجه في 26 أبريل (نيسان) 1993 بتقديم مبلغ 10 ملايين دولار لإغاثتهم من الأوضاع المأساوية التي يمرون بها.

وأمر الشيخ زايد بإرسال العديد من شحنات الإغاثة من المواد الغذائية والطبية إلى البوسنة ووجه باستقبال أفواج من الجرحى لعلاجهم بمستشفيات الدولة وتكفل بإقامة العشرات من العائلات في شقق مجهزة بالكامل وتوفير فرص العمل لهم.

وفي مايو (أيار) 1990 تم التوقيع على اتفاق لإقامة مطبعة إسلامية في العاصمة الصينية بكين بمنحة من الشيخ زايد لدعم أنشطة المسلمين الصينيين ونشر الدعوة الإسلامية بتكلفة 3، 1 مليون درهم كما تبرع بنصف مليون دولار لدعم جمعية الصداقة بين الإمارات والصين.

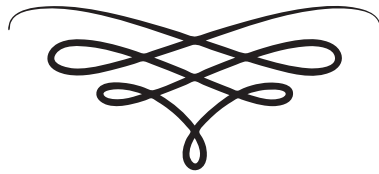




وفي عام 1999 وبتوجيهات من الشيخ زايد غادرت مطار أبوظبي طائرة إغاثة متوجهة إلى اليونان لمساعدة المتضررين من الزلزال الذي ضرب مناطق واسعة من البلاد.

وبتوجيهات منه في عام 2000 بدأ «الهلal الأحمر الإماراتي» في توزيع الأضاحي بجمهورية أنجوشيا على النازحين الشيشان كما قدمت مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية 145 طناً من المساعدات الغذائية للمتضررين من المجاعة التي اجتاحت منطقة القرن الأفريقي كذلك قرر مجلس الوزراء تقديم مساعدة عاجلة بقيمة 100 ألف دولار لمنكوبي الزلزال الذي ضرب جواتيمالا.

كان الشيخ زايد معروفاً بشعوره الإنساني النبيل، فلم يكن يتردد في تقديم العون إلى المحتاجين بكل الوسائل، وذلك انطلاقاً من نظرة لا يملكها إلا القادة العظام، والقائلة بأن الإنسان لا بد أن يحيا حياة تشاركية مع أخيه الإنسان في الصعاب والمحن والأفراح والإنجازات، لأن البشر في النهاية أصحاب مصير مشترك مهما اختلفت الجنسيات.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







المرأة أمّ المجتمع





للأم في الثقافة العربية، مكانة عالية وسامية. وقد كان هذا خارطة طريق للشيخ زايد في أن يوليها الكثير من الرعاية والاهتمام كي تبقى عزيزة كريمة لا تنال منها مصاعب الحياة أو قسوة الظروف.

في إحدى الزيارات إلى مدينة العين، توقف عند امرأة مسنة جالسة تحت نخلة كبيرة، فترجل من السيارة وذهب باتجاهها، وألقى التحية وخاطبها بالقول: «السلام عليكم يا أمي».

فردت المرأة السلام قائلة «وعليكم السلام يا بني»، ولم تكن تعرف أن من يحدثها هو الشيخ زايد رحمه الله. سألتها عن أحوالها وسبب جلوسها تحت الشجرة وإن كانت تنتظر شيئاً أو تحتاج مساعدة. فقالت بأنها تعتني بالأشجار وتسقيها في هذا الجو الحار.

ثم راحت تحدثه عن الواحة وكيف أمضت عمرها تعمل بالأرض مع زوجها الذي توفاه الله منذ سنوات. كان سموه يحب الحديث عن أيام زمان، فطلب منها الحديث عن حياة الناس في الماضي عندما كانت يافعة. وبدأت المرأة بقص السير والحوادث وتحكي لسموه كيف كانت تذهب إلى مدينة العين على ظهر الناقة لتأتي بالحاجيات ثم تعود، لكن بعد أن كبرت بالعمر وشاخت، لم تعد تقوى على ركوب الناقة كالسابق، بل تعتمد على أبنائها في تأمين ما تريد. عندها قال سموه إنه سيهديها سيارة كي يسهل عليها





الوصول إلى العين وأبو ظبي عندما تريد. ثم سأل عن أبنائها، فنادت أحدهم بصوت عال، وعندما وصل الشاب، تفاجأ بوجود الشيخ زايد رحمه الله، وراح يسلم عليه بحب ويقبل رأسه. استغربت المرأة الأمر وسألت ابنها إن كان يعرف هذا الشخص الغريب؟ فأجابها إنه صاحب السمو الشيخ زايد، فما كان من المرأة إلا أن وقفت ببطء على رجليها وراحت تدعو لسموه بالصحة والتوفيق والرزق الوفير، وكان سموه يبتسم ويقول حماك الله يا أمي وأدامك لأبنائك ولهذه الأرض الطيبة. ثم أمر أحد المرافقين بترك سيارته هدية للمرأة حتى يتولى ابنها إيصالها إلى حيث تريد عندما تدعو الحاجة. هذه الحادثة لم تأت من فراغ. فقد كان الوالد الشيخ زايد واسع الاطلاع رحب الصدر، يقدر الآخرين ويعطيهم حقهم من الاحترام، وكانت الأمهات كبيرات السن، الأولى دائماً بهذه العناية. بعد أن مضينا، قال لي سموه:

«هذه العجوز الطيبة، أمنا جميعاً، إنها أم أبناء الإمارات كلهم، وإنني عندما أقدرها وأقدم المساعدة لها، إنما أساعد أمي وليس امرأة غريبة لا أعرفها».

هذا القول يشكل خلاصة لطريقة تفكير سموه بأبناء مجتمعه وحرصهم عليهم، كانت هذه الحادثة في بداية السبعينيات بعد تأسيس الاتحاد، وخلال السنوات اللاحقة شهدت الإمارات تأسيس الكثير من المنظمات النسائية أولها كان «جمعية نهضة المرأة





الظبيانية» عام 1973، بتشجيع من سموّه، ثم انتشرت الجمعيات النسائية في جميع أنحاء الإمارات، ليعلن عن تأسيس الاتحاد النسائي عام 1975 جامعاً كل المنظمات النسائية.

طيلة حياته، حرص سموّه على إيلاء المرأة الاهتمام الكافي، وذلك تقديراً لدورها في تربية الأبناء رجال الغد الذين سيتحملون المسؤوليات الوطنية بكافة اختصاصاتها، فأصدر سموّه القوانين التي تمكّن المرأة اقتصادياً واجتماعياً، وتضمن حقوقها، وصار للمرأة الإماراتية عيد سنوي في الثامن والعشرين من آب تحتفل به الدولة كل عام وهو تاريخ تأسيس الاتحاد النسائي العام.

وفي عهد الوالد الشيخ زايد، صدرت الكثير من القوانين التي تضمنت حقوق المرأة وتم اعتبارها شريكة أساسية ببناء الوطن، فنالت حق التعليم والرعاية الصحية والحصول على المساعدات المالية بشكل مستقل، وحق الحصول على السكن، وغير ذلك من الحقوق التي تضمن لها العيش بكرامة واستقرار. 2001،

وفي عام 2001، صدر في عهد سموّه القانون الاتحادي رقم (2)، الخاص بالضمان الاجتماعي، وتضمن الفئات النسائية المستحقة للمساعدة الشهرية وهنّ الأرملة والمهجورة وكذلك المواطنات المتزوجات من الأجانب الذين لا يستطيعون كسب لقمة العيش لأسباب خارجة عن إرادتهم.





ووفقاً للقانون الاتحادي رقم (2) لسنة 2001 بشأن الضمان الاجتماعي، تستحق المواطنة المتزوجة من أجنبي، المساعدة الاجتماعية عن نفسها وأولادها في حال إصابة الزوج بعجز مرضي، أو عاهة تمنعه عن العمل، أو في حال سجن أو إيقاف الزوج مدة لا تقل عن شهرين، وكذلك في حال إبعاد الزوج عن البلاد، كما تستحق المواطنة المتزوجة من أجنبي مساعدة عن نفسها فقط إذا لم يكن للزوج دخل بسبب خارج عن إرادته، أو إذا كان دخل الزوج يقل عن المتوسط المطلوب لسد احتياجات أسرة. وتستحق المواطنة الأرملة التي توفي زوجها الأجنبي المساعدة الاجتماعية عن نفسها وأولادها.

أما بالنسبة للقوانين التي ساعدت على تمكين المرأة تعليمياً، فقد كان ذلك جلياً في مواد الدستور والتشريعات التي صدرت في عهد المغفور له الشيخ زايد، إذ تشير المادة (17) من دستور دولة الإمارات العربية المتحدة، والمادة (1) من القانون الاتحادي رقم (11) لسنة 1972 بشأن التعليم الإلزامي، على أن التعليم عامل أساسي لتقدم المجتمع، وأنه إلزامي للإناث والذكور في مرحلته الابتدائية، وبالمجان في كل مراحله عبر أرجاء الدولة.

أعطيات الوالد الشيخ زايد لم تغفل أحداً من فئات المجتمع، لكن المرأة كانت تحظى بمكانة خاصة لديه، فهي الأم والزوجة والأخت والابنة، وهي مربية الأجيال وراعية الأسرة التي تعتبر الخلية الأولى





في المجتمع. إليها يعود الفضل في إعداد الرجال حتى يكونوا على قدر المسؤوليات التي تنتظرهم. وطيلة حياة سموّه ووجوده بيننا، لم يخذل امرأة أو يردّها خائبة مهما كان طلبها منه، بل إنه كان يلجأ إلى إصدار القوانين إذا رأى أن بعض المشكلات الخاصة تحتاج إلى معالجة عند جميع نساء المجتمع.

كان الشيخ زايد يسعد كثيراً بدعوات الأمهات له بالتوفيق والصحة وتحقيق ازدهار الوطن، ويقول إن هذه الدعوات هي أهم شيء في الحياة يمكن أن يحصل عليه الإنسان من أبناء مجتمعه الذين يحبونه ويحبهم. كان رحمه الله كبيراً في كل شيء، في عطفه واستيعابه للآخرين ومساعدته لهم ومعاملتهم كأفراد من أسرته.

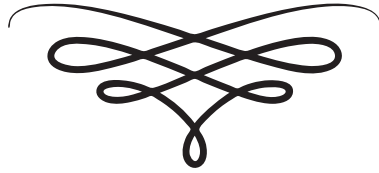
أذكر أن الوالد الشيخ زايد وفي نهاية اللقاء مع تلك المرأة على طريق العين، وبعد أن دعت له بالتوفيق وطول العمر، قال لها إن ما يقدمه من مساعدة ليس مثّه بل حق لها كفلته الشريعة والدين، وذكّرها بالآية الكريمة التي تحض الأبناء على احترام الأب والأم، فما كان من المرأة إلا أن شرعت بالبكاء بصوت عال من شدة الانفعال.

في تلك المرحلة التأسيسية، كانت الإمارات تحتاج هذا النوع من القادة أصحاب النظرة الثاقبة والاستراتيجية في التعامل مع كل





المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها. وقد امتاز زايد بشمولية التفكير والإلمام بكل هذه الجوانب، فلم يكن يفوته شيء من أحوال المجتمع أو فئاته. فكيف بالأمهات اللواتي كان يقول سموه إن على أذرعهنّ سيكبر الوطن وتزدهر البلاد، ومن دون الأمهات الواعيات الكريمات، لن نحصل على جيل واعد يلبي احتياجاتنا المنتظرة. لهذا فإن تقدير المرأة كان يعني بالنسبة لسموه تقديرًا للوطن وتأسيساً صحيحاً للإنسان الذي اعتبره سموه الأساس القوي في بناء صرح الوطن وحضارته.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







الدم العربي هو الأغلى





في السادس من أكتوبر 1973، كانت دولة الاتحاد في مرحلة التأسيس والبناء، لكن ذلك لم يمنع الوالد الشيخ زايد رحمه الله، من استنفار كافة الطاقات والامكانيات المادية والبشرية من أجل دعم الأشقاء في سوريا ومصر في الحرب العادلة التي هدفت إلى تحرير الأراضي المحتلة وإعادة العزة للعرب.

في ذلك اليوم كان في زيارة إلى العاصمة البريطانية لندن، وكان جميع العرب يترقب الأخبار والتطورات الحاصلة على جبهة الحرب، ولم يتردد بعقد مؤتمر صحفي في لندن أكد فيه مساندته لسوريا ومصر في الحرب، ثم عاد على الفور إلى أبو ظبي كي يوفر كافة وسائل الدعم الاقتصادي والعسكري والطبي، وتم الإعلان عن حملة تطوع من أجل المشاركة في الحرب إذا دعت الحاجة. كانت المرحلة مصيرية، وقد أدرك ذلك بحسه الاستراتيجي بعيد المدى ومواقفه القومية، وكل المسؤولين في الدولة كانوا يتوقعون منه هذا الموقف القوي غير المهادن.

يومها سألته بعد عودته إلى أبو ظبي عن الوضع وتوقعاته في المرحلة القادمة، فقال لي بكثير من الإصرار: «إن الشعور القومي العربي يفرض علينا أن نكون متضامنين مع الأشقاء في هذه الحرب، وعلينا أن نوفر كل أساليب الدعم من أجل النصر فيها. إن في هذا تكريس لوحدة العرب وتضامنهم كما أن القضية مرتبطة بمناصرة الحق والعدل في العالم، وإلا سيتمادي المحتلون





ويفكرون باحتلال المزيد من الأراضي وتشريد الشعب الفلسطيني الذي تحمل الكثير من المعاناة منذ ما قبل عام 1948 حتى الآن».

حينها، جلس خلف طاولة المكتب، وفتح خريطة الوطن العربي، وأشار إلى المخطط الكبير الذي ترمي إليه الصهيونية وما الهدف من وراء زرعها في قلب الوطن العربي.

تحدث عن الهدف الاستراتيجي للكيان من احتلال الأراضي الخصبة وفيرة المياه في الجولان، وأشار إلى سيناء متحدثاً عن أهميتها وإطلالتها على قناة السويس والبحر الأحمر. لم تكن المواقف التي يأخذها سموه مرتجلة أو متسعة، بل مبنية على قاعدة علمية معرفية واسعة بطبيعة المنطقة والتأثيرات الدولية المساندة لإسرائيل، إضافة إلى الواجبات القومية التي تدفعنا لمساندة الشعب الفلسطيني وهي القضية الأولوية بالنسبة إليه.

الصلابة في موقف الشيخ زايد وصلت إلى حد إرسال ابنه الشيخ خليفة بن زايد رحمه الله، إلى جبهات القتال كي يكون مع أخوته العرب في المعركة، وهذا موقف يسجل له حيث لم يكن يخل بشيء من أجل الوطن. كما أمر مباشرة بوقف ضخ النفط إلى الغرب من أجل ممارسة ضغط كبير على الولايات المتحدة وأوروبا التي هرعت إلى مد جسر جوي من الدعم اللوجستي إلى الكيان كي تنقذه من اكتساح الجيش السوري والمصري وتقدمهما الكبير





خلال الأيام الأولى للحرب. كان زايد يردد دائماً «النفط العربي ليس أغلى من الدم العربي»، وقد فعلها على أرض الواقع مباشرة ولم يتردد أو يحسب حساباً لأي دولة في العالم مهما عظمت قوتها، لأن صاحب الحق لا يخجل ولا يتوانى عن اتخاذ المواقف من أجل نصرته هذا الحق. هكذا قال لي وقتها: «الحق لا يمكنه تحقيق الانتصار بلا قوة، ونحن سنوفر تلك القوة لأخوتنا العرب في هذه الحرب».

الشيخ زايد وصل الليل والنهار طيلة فترة الحرب، مستنفراً بشكل دائم على الهاتف وأمامه الخريطة ليتابع التطورات بشكل عملي كأنه يعيش تفاصيل الحرب تماماً. الاتصال كان دائماً مع الرئيسين السوري والمصري، كما كان على اتصال مستمر مع رجال الأعمال والمتطوعين والعاملين في القطاع الصحي من أجل إيصال المساعدات في الوقت المطلوب.

في المؤتمر الصحفي الذي عقده في لندن أثناء الإعلان عن بدء الحرب، قال الشيخ زايد: «سنقف مع المقاتلين في مصر وسوريا بكل ما نملك، ليس المال أغلى من الدم العربي وليس النفط أغلى من الدماء العربية التي اختلطت على أرض جبهة القتال في مصر وسوريا». لقد هز العرب كلهم بهذه الكلمات، وراحت الجماهير العربية في مختلف الدول ترفع صورته وتنادي باسمه في وسائل الإعلام. كان الموقف عظيماً يبعث على الفخرو يؤكد حقيقة الشعور القومي العربي بين الأخوة رغم ما حاول المستعمر بثه من فرقة.





ويذكر الجميع كلمته الشهيرة بهذه المناسبة عندما قال: «سأدعم المعركة القومية حتى آخر فلس في خزينتي». ويذكر التاريخ أن الشيخ زايد كان أول حاكم عربي يعلن تبرع بلاده بمبلغ 100 مليون جنيه إسترليني لصالح المعارك، في ثالث أيام المعركة.

وكما قلت، فإننا في عام 1973، كنا في بداية سنوات التأسيس لدولتنا الجديدة في الاتحاد، ولم يكن هذا المبلغ الكبير «100 مليون جنيه إسترليني» متوفراً، فما كان من الوالد الشيخ زايد رحمه الله، إلا أن جمع رجال البنوك والمال في لندن واستدان منهم المبلغ بضمان البترول وبعث به لدعم الأشقاء، وعندما سئل عن قيمة هذا الدعم قال: «إن الثروة لا معنى لها بدون حرية أو كرامة. وإن على الأمة العربية وهي تواجه منعطفاً خطيراً، أن تختار بين البقاء والفناء، بين أن تكون أو لا تكون. بين أن تنكس أعلامها إلى الأبد، أو أن تعيش أبية عزيزة مرفوعة أعلامها مرددة أناشيدها منتصرة».

الدعم الإماراتي لحرب أكتوبر لم يقتصر على الدعم المادي، بل وجه الشيخ زايد رحمه الله أجهزة الإعلام بتوجيه كل طاقاتها الإعلامية لدعم المعركة، وتهيأ جيش الإمارات للتحرك في أي وقت يطلب منه المشاركة الفعلية في القتال، وفتحت الدولة رسمياً مكاتب للتطوع في المعركة، وفرضت ضريبة جهاد على التجار والشركات العاملة فيها ونظمت مكاتب للتبرع الشعبي، بالإضافة إلى تبرع العاملين فيها بمرتب شهر كامل بمبادرة ذاتية بالإضافة إلى المبلغ





الضخم الذي رصده الشيخ زايد للمعركة وقدره 100 مليون جنيه إسترليني.

مستشفيات ميدانية وعربات إسعاف ومواد طبية قدمتها الإمارات لمصر خلال الحرب تنفيذا لمقولة الشيخ زايد «عندما تفتح أفواه المدافع، سوف نغلق على الفور صنادير البترول، ولن نكون بعيدين عن المعركة».

الشيخ زايد خاض أيضا معركة إعلامية ضخمة، عندما لاحظ انحياز وسائل الإعلام الأجنبية لإسرائيل، إذ قرر الإسهام في دعم المعركة إعلامياً، حيث أمر على الفور بسفر 40 صحفياً ممثلين لأكبر الدور الصحفية في بريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا لتغطية المعارك على نفقته الشخصية ليساهموا في نقل الصورة الصحيحة إلى الرأي العام العالمي. وطوال أيام حرب أكتوبر/تشرين الأول 1973 كان الشيخ زايد يتابع تطوراتها أولاً بأول، واتصل ثاني أيام الحرب بالرئيس المصري أنور السادات والسوري حافظ الأسد وأكد لهما أن إمكانيات دولة الإمارات كلها مُسخرة في سبيل خدمة المعركة.

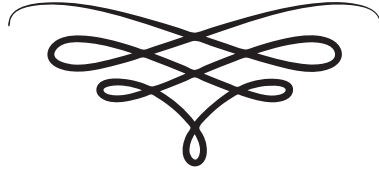
كان من يتذكر تلك المرحلة، يعود ليعيش تفاصيلها وكأنها تجري الآن، ويشعر كل عربي بالفخر والعزة وهو يتعرف إلى حقيقة مواقف الوالد الشيخ زايد رحمه الله، صاحب المواقف المشرفة





غير المهادنة والداعمة للأخوة العرب. إنها صفات القادة الكبار وهي من النادر أن تكرر في التاريخ، لذلك أقول دائماً إن الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، كانت هبةً ربانيةً إلى دولة الإمارات، لأن ما تمكن من فعله سيبقى خالداً في التاريخ مهما مر عليه من زمن.

اليوم وبعد مضي هذه السنوات الطويلة، أستعيد كلماته المليئة بالشعور الوطني والقومي أثناء نشوب المعارك ومتابعته الدائمة للتطورات على الأرض. كان يقول: «المعركة ليست معركة مصر وسوريا وحدهما، ولكنها معركة الوجود العربي كله ومعركة أجيال كثيرة قادمة علينا أن نوزّتها العزة والكرامة».











الثروات لا تبني بالأحلام





زيارة تاريخية قام بها الوالد الشيخ زايد رحمه الله، في 19 سبتمبر 1971 إلى وزارة البترول. وقد حدد في كلمة هامة له، كيف أن النفط يمكن أن يتحول إلى لعنة عوضاً عن كونه نعمة، وذلك إذا ما استمر الاعتماد على النفط لوحده كحامل رئيسي أو وحيد للاقتصاد. في تلك الزيارة قال:

«كم سنة تعتقدون أن هذه الثروة البترولية ستعيش، خمسين أو مائة سنة، وما هي مائة سنة في حياة الشعوب، صدقوني أنها قصيرة، ولو استمر اعتمادنا على بيع البترول وصرف عائداته دون أن نفعل شيئاً للأجيال القادمة، فسترجع بلادنا كما كانت، صحراء قاحلة، وستعود الأجيال القادمة إلى حياة المعاناة».

لنتخيل أن هذا الكلام للشيخ زايد يعود إلى عام 1971، فكم كان سباقاً لعصره، واستراتيجياً في حساباته، ومشغولاً دائماً بمصلحة الأمة ومستقبل الأجيال القادمة. واستناداً إلى ذلك، انصبّ اهتمامه على القطاع الصناعي، وبدأ يعتمد أحدث المعدات المتبعة في العالم، من خلال تدريب الكوادر الوطنية في الإدارة واستخدام الآلات، وكان الهدف الكبير هو تنويع مصادر الدخل حتى لا تبقى البلاد تعتمد على النفط وحده في الاقتصاد حيث كان البترول يشكل 90 % من حجم الناتج المحلي خلال سنوات السبعينيات الأولى، ثم وصل إلى 38 % في نهاية عام 2008.





بعد تلك الزيارة التاريخية إلى وزارة النفط، جلست معه وأكد حينها ضرورة البناء فوق أرض صلبة لا تتزعزع أو تكون معرضة للقلقل إذا ما نفذ النفط في المستقبل... تحدث عن الصناعة والزراعة والتجارة وبناء المعامل واستثمار الموارد الأولية في البلاد وتنشيط المرافق وغير ذلك من المشاريع التي تساهم في تحمل الأعباء الاقتصادية بحيث لا يتم الاعتماد على البترول وحده. وإثر ذلك شهد القطاع الصناعي نهضة كبيرة في السبعينات، ووجه بإنشاء الشركة الصناعية العامة، التي تحولت في ما بعد إلى الشركة القابضة العامة (ش.م.ع)، التي عُهد إليها بوضع السياسات والتخطيط لتنويع التنمية الصناعية. أما بداية الصناعات فكانت تلك القائمة على النفط وإنشاء المصافي وإنتاج الكيماويات وتحويل المواد النفطية المستخرجة إلى مواد مصنعة لها قيمة إضافية، فأنشأ معمل تسييل الغاز في جزيرة داس للاستفادة من الغاز الذي كان يحترق من قبل دون أن تجني منه الإمارات فائدة تذكر.

ولأن وجود البنية التحتية المنظمة والقوية، أمر ضروري لقيام الصناعة وغيرها من الأنشطة الاقتصادية، لم تغب عن باله مسألة الإسراع في إنشاء شبكات الطرق وخطوط الهاتف والمؤسسات الإعلامية والمطارات الدولية المتطورة والموانئ، وإذا ما نظرنا للأرقام المتحققة بين عامي 1970 و 1980، سنجد أن الاقتصاد أخذ





يركز على التجارة والسياحة والخدمات، وبعد أن كانت مساهمة الصناعة في الدولة لا تتجاوز نسبة 1% من الناتج المحلي في عام 1971 ارتفعت إلى 27% خلال 2008.

ما فعله الوالد الشيخ زايد في قطاع الصناعة، فعله أيضاً في الزراعة والتجارة والتعليم والإعلام وغير ذلك من الاختصاصات. فالبلاد كانت تحتاج تلك النظرة الشمولية للواقع والرؤية الاستراتيجية لما يمكن أن تؤول إليه الأمور في المستقبل. إنها فترة التأسيس ووضع المعالم والخطوط المنهجية للدول الحديثة، وهي مرحلة لا ينجزها سوى القادة الأفذاذ الذين لا يغيب شيء عن اهتمامهم.

لا يمكن النظر إلى ما أنجزه الوالد الشيخ زايد رحمه الله، إلا من خلال الفلسفة التي كان ينتهجها في التفكير، فكل الموجودات التي تبنى فوق سطح الأرض من زراعة وصناعة وتجارة ومؤسسات مختلفة، مسخرة لأجل الإنسان وخيره وصلاحه، فالإنسان بالنسبة له هو الغاية وهو الهدف، أما الثروة فهي مجرد وسيلة، لأن الإنسان القادر والواعي وصاحب المهارات العلمية، قادر على جلب الثروة وليس العكس. لهذا يمكن القول إن الاستدامة هي في الإنسان، وهذه القاعدة التي وضعها كان لها الفضل في مسيرة التطور التي حصلت في الدولة منذ التأسيس حتى اليوم. ألم يقل رحمه الله: «إن بناء الإنسان في المرحلة المقبلة ضرورة وطنية وقومية تسبق بناء المصانع والمنشآت لأنه بدون





الإنسان الصالح لا يمكن تحقيق الازدهار والخير لهذا البلد، ولأننا نود أن نبني جيلاً صاعداً نفجر به ويكون قادراً على تحمل أعباء المسؤولية في المستقبل».

في جميع اللقاءات التي جمعتني بالشيخ زايد، حاولت على الدوام أن أحفظ كلامه وأدوّن آراءه في ذاكرتي حتى لا أنساها أبداً، وأستطيع القول إنني مدين لذلك البحر الواسع الذي نهلت منه، في جميع ما قمت به من مشاريع حاولت أن أتمثل فيها رؤيته على الدوام.

في كل مناسبة، كان يقدم لنا الخلاصات والحكم التاريخية التي ستكون نبراساً نهتدي به في عملنا المستقبلي، منذ اللحظات الأولى لقيام الاتحاد، ومخاطبته للشعب قائلاً: «يا أبناء الإمارات العربية المتحدة... إن الأوطان لا تبني بالتمنيات، والآمال لا تتحقق بالأحلام»، أدرك الجميع أن ورشة العمل قد بدأت وأنه لا مجال للتردد أو التراجع لأن الإنتاج هو المقياس في الحكم على المسؤولين مهما اختلفت درجاتهم، ولذلك كانت ملاحظة زايد في أول اجتماع لمجلس الوزراء بعد قيام الاتحاد، تتركز حول إمكانية تغيير كل وزير لا ينجح بعمله أو لا يحدث فرقاً واضحاً في واقع الحال ضمن قطاعه.

لم يكن زايد محدوداً في نظرتة، بل كان يشعر على الدوام بالتزامه





العربي والإسلامي والعالمي، فقد حاول أن يعمم التجربة الإماراتية على الدول النامية، كما عمد إلى نقل المشاريع وتأسيسها في الدول العربية والصديقة، التزاماً منه بشعوره القومي والإنساني. كيف لا وهو القائل:

«هذه الثروات تنفق في الدرجة الأولى على أبناء شعبنا الذين عاشوا زوايا الحرمان والتخلف سنوات عديدة، هذه الثروات تنفق في شكل خدمات ومدارس ومستشفيات وطرق زراعية، ثم بعد ذلك علينا التزامات تجاه إخواننا من أبناء الدول الإسلامية والصديقة الذين يساندون قضايانا، إذن نحن نسير في عدة مسالك، ولا يتعارض أحدهما مع الآخر فمشاريع التنمية الداخلية مستمرة وخدماتنا لإخواننا العرب والمسلمين مستمرة».

لم يكن يقبل بأنصاف الحلول أو أنصاف النتائج، لأن ذلك يعتبر تقصيراً بالنسبة إليه، فلا مبرر أمام أحد ألا ينجز ما عليه، ما دامت كل الإمكانيات متوفرة ومقومات النجاح حاضرة بشكل كاف. وبناء نظرتة الاستراتيجية بعيدة المدى، ركز دائماً على خير الإنسان لأنه المسؤول عن بناء الخير في مجالات الحياة.

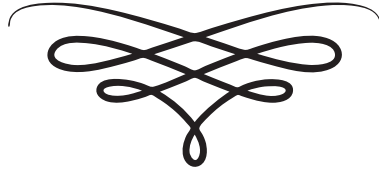
من تلك النظرة الشمولية في العمل والتخطيط، انطلق بشكل دائم في رسم السياسات العامة للدولة، ولم يغفل أحداً من اهتمامه أو إعطائه دوره في عملية البناء التي يجب أن يتشارك بها الجميع. إنها





عملية استنفار كبيرة أعلن خلالها انطلاق عملية التنمية، مشدداً
على كل فرد أن يؤدي دوره:

«إن عملية التنمية والبناء والتطوير لا تعتمد على من هم في مواقع
المسؤولية فقط، بل تحتاج إلى تضافر كل الجهود، جهود كل
مواطن على أرض هذه الدولة، العامل، والموظف، والطالب،
والجندي، ورجل الشرطة، ورجل الإعلام».





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







إلى العالمية بثقة





الأهداف الكبيرة، كانت دائماً نصب عيني الشيخ الوالد زايد وبقدر ما كان قادراً على الإلمام بكل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعناية بها على أكمل وجه، كان يملك المشاريع العملية من أجل نقل الدولة خلال سنوات قليلة إلى مكانة متقدمة عالمياً، ليس في الاقتصاد وحسب، بل في جميع الجوانب الأخرى.

عنايته بالتجارة الخارجية غير النفطية، كانت من الأولويات الاستراتيجية التي عمل عليها بقوة، فهو أشار مراراً وتكراراً أن النفط يمكن ألا يستمر، وبالتالي لابد من توظيفه اليوم في تأسيس صناعات ومشاريع وبنية تحتية قوية يمكنها أن تكون رافعة للاقتصاد في السنوات القادمة، حتى لا يعاني الشعب ولا يتعرض لمصاعب اقتصادية نتيجة نزوب النفط مثلاً، أو نتيجة حصول أزمات عالمية في هذه المادة الحيوية. هكذا كان يحسب كل شيء للمستقبل، وهذا ما تحقق بالفعل عندما استطاعت الإمارات خلال سنوات قليلة من تأسيس الاتحاد، من تحقيق قفزات كبيرة في تجارتها السلعية غير النفطية والأرقام تشير خلال السنوات الخمس الأولى من قيام الاتحاد تؤكد ذلك.

عندما كان زايد يطل على ميناء الفجيرة من خلال زيارته المتكرره للإمارة كان يقول: «هذا الميناء سيصبح نافذة على العالم كله، وبوابة للتجارة إلى الخارج». كان يدرك المخطط الذي يسير عليه، فلم يكن كلامه عن عبث، بل عن دراية حقيقية ووفق خط بياني علمي مدروس





بدقة. بعد سنوات قليلة من هذا الكلام، بدأت الموانئ الإماراتية تلعب دورها الكبير في النهضة التجارية والاقتصادية، وباتت تجمع الشرق والغرب، من ميناء زايد إلى ميناء راشد حتى ميناء جبل علي ثم ميناء خليفة، إلى موانئ الشارقة وميناء الفجيرة وكذلك ميناء صقر.

لن يدرك دلالة هذا الكلام، إلا من عايش المرحلة التأسيسية حيث كانت المشاريع لاتزال على الورق، ثم تحولت إلى أمر واقع. في هذه النقلة ظهرت حكمة القيادة التاريخية له فمع الوقت وتوالي سنوات العمل، حلت دولة الإمارات في المركز الأول عربياً وإقليمياً وضمن العشرة الكبار في مؤشرات التنافسية العالمية للتجارة الدولية عن العام 2021، بما يرسخ مكانة الدولة كمركز متقدم على الخريطة التجارية العالمية ويؤكد مكانتها التجارية الكبيرة وتأثيرها في الحركة التجارية العالمية، وفق المركز الاتحادي للتنافسية والإحصاء. بالطبع، لم تصل الدولة إلى هذه المراحل المتقدمة اقتصادياً، لولا التأسيس القوي الذي حصل في السنوات الأولى لقيام الاتحاد.

كان الشيخ زايد ينظر إلى كل شيء بشكل مختلف، فكل موجودات البيئة الإماراتية، كان يراها كمشاريع مستقبلية تساهم في ازدهار الشعب ورفاهيته، النخيل لم يكن شجراً عادياً بالنسبة إليه، فهو ثروة يجب استثمارها وتنويع صناعاتها، كذلك الشواطئ ومهنة صيد الأسماك، رآها كمشروع اقتصادي كبير يستطيع التصدير إلى العالم. فالنقطة المفصلية التي كانت تشغل بال سموه على الدوام،





هي كيف نستثمر البيئة المحلية ونحولها إلى صناعات كثيرة ونبتكر صناعات إضافية، حتى لا نبقي نعتمد على النفط وحده في الاقتصاد، وبالفعل هذا ما تحقق لاحقاً في السنوات التي تلت التأسيس.

لا يمكن أن أنسى، كيف كان يمد يده إلى الأرض ويتناول قبضة تراب ثم يتأملها بعينه ويتحسسها بأصابعه، ويقول لي: هذه الأرض طيبة، وقابلة للزراعة في هذه المنطقة، يجب أن نكلف مهندسين زراعيين مختصين من أجل اختبارها من أجل تحديد إمكانية الاستفادة منها. وبالطبع، دخلت الكثير من الزراعات الجديدة على أرض الإمارات، واستفادت من التقنيات العالمية الحديثة في الري وتوفير الحرارة المناسبة، كما هو الحال بالنسبة لاستجلاب الأشجار والنباتات المناسبة للبيئة القادرة على مقاومة الحرارة المرتفعة. العملية كانت شاملة وعميقة، إنها أشبه بتأسيس كل شيء من درجة الصفر والارتقاء به بسرعة إلى درجة المئة.

لقد أدرك منذ البداية، أن الطريق إلى العالمية، لا بد أن يمر عبر التركيز على المحلية، أي على رفع مستوى الدولة وتأسيس البنية التحتية القادرة على استيعاب المشاريع. وهنا بدأ اهتمامه بشبكات الطرق التي تخدم تلك المخططات الواسعة التي عمل على تنفيذها. كانت الإمارات السبع قبل تأسيس الاتحاد، بلا طرق دولية وأوتوسترادات يمكنها أن تستوعب حجم النهوض الاقتصادي، بل إن العوائق الطبيعية الجغرافية مثل الجبال والوديان كانت تقف عائقاً أمام





حرية التنقل وشحن البضائع بشكل سهل ، لهذا انصب الاهتمام أيضاً على شبكة المواصلات ، وبدأ العمل بمد شبكة من الشرايين البرية بين المدن والموانئ والمطارات ، ليتم استيعاب النقلة إلى العالمية بشكل يسير ، حيث كانت المطارات معدة لاستيعاب أكبر الطائرات وأحدثها ، وكذلك الموانئ استقبلت أكبر البواخر التي تشحن مئات الأطنان من البضائع من جميع أنحاء العالم.

لم تكن المسؤولية سهلة ، لذلك قلت إن من شهد سنوات التأسيس الأولى للاتحاد ، سيدرك تماماً النقلة النوعية التي حصلت ، وسيعرف حجم الجهد المبذول في تلك المرحلة التي سبق مرحلة قطف الثمار. لقد تمكن الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه ، من إبهارنا في كل شيء ، في عمله وتفكيره وأسلوب تعامله مع الناس ، وفي إرشاداته الدقيقة التي كان يستغريها البعض لكنه بعد وقت قصير يكتشف صحتها. إن استشراف المستقبل من صفات القادة الكبار ، وقد يكون من الصعب أن تتوفر هذه الصفة لجميع الناس العاديين ، لهذا فإن خيار الشعب في الاتحاد كان منذ البداية حاسماً في تسليم زمام القيادة للشيخ زايد فهو ريان السفينة وهو القادر على مواجهة الأنواء والرياح والإبحار إلى أبعد نقطة ثم الرسو على الشاطئ بأمان.

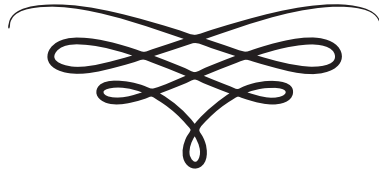
تحتاج سنوات التأسيس إلى مجلدات ضخمة ، توثق ذاكرة الناس الذي عايشوا تلك المرحلة والتقوا به شخصياً ، في الأرض والمعمل والمدرسة والشارع والجامعة. فبال تأكيد سيذكر الجميع ماذا قال





لهم من توجيهات وإلى أين كان يوجه الاهتمام. إنها مرحلة تعتبر بوصلة للشعب في جميع المراحل اللاحقة وفي المستقبل البعيد.

نعم، تصدرت الإمارات المراتب الأولى عالمياً في كل شيء تقريباً، وحصل كل ما توقعه وعمل لأجله الشيخ زايد، ولم تكن المسألة مجرد شعار أو عواطف عابرة، بل هي مشاريع حقيقية موجودة اليوم على الأرض وتؤكد الأرقام والخطوط البيانية للنمو الاقتصادي الذي حققته الدولة، التي تحولت إلى وجهة لرجال الأعمال من كل الأنحاء، كما صارت مزاراً تقصده الخبرات وطلاب العلم والعمل، فالإمارات اليوم هي الدولة الأولى التي تضم أكثر من مئتي جنسية عالمية على أراضيها، ويعمل الجميع ويعيشون في تآلف وانسجام، تحت سقف القانون. وهذه هي النظرة الإنسانية التي أسسها سمو الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، الذي أراد لاتحاد الخير أن يعم على جميع أنحاء العالم، لأن الإنسان في نظره هو الغاية والإنتاج هو المقياس.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي











أين تقع إمارة أبو ظبي؟





قصة طريفة رواها لي الشيخ زايد بعد سنين طويلة من حدوثها، وذلك أثناء زيارة قمت بها إلى أبو ظبي، في أوائل السبعينيات. وفي القصة عبرة كبيرة من المستحسن ذكرها بعد هذا الزمن الطويل حيث تطورت الدولة بشكل كبير وأصبحت من المراكز المتقدمة عالمياً على مختلف الصعد الاقتصادية والتعليمية والتكنولوجية وغيرها.

فأثناء تولّيه لحكم العين في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، كانت مشاريع التطوير والتحديث تشغل باله بشكل كبير، وأراد أن يحقق قفزات كبيرة على صعيد التعليم استناداً إلى يقينه التام بضرورة توفير الكوادر القادرة على تحمل المسؤوليات والقيام بالأعباء الكبيرة. وكانت المنطقة آنذاك ليست بالمستوى المطلوب تعليمياً. فأرسل برسالة إلى أحد المسؤولين التربويين العرب، يطلب فيها إرسال عدد من المعلمين في مختلف الاختصاصات من أجل التدريس في إمارة أبو ظبي والعين، لكن المسؤول العربي رد برسالة جوابية طالباً منه تحديد موقع أبو ظبي والمنطقة الشرقية من أجل إرسال المعلمين المطلوبين!.

كان يتسم وهو يتحدث عن تلك المرحلة التي كانت توصف بالتخلف التعليمي وعدم مواكبة التطورات الحضارية، ويقارن بما وصلت إليه الإمارات السبع في سبعينيات القرن الماضي عندما انطلقت مسيرة التطوير والانتعاش الاقتصادي وبدأت الدولة تضع





قدمها على طريق التقدم العالمي حيث باتت اليوم أبو ظبي من أهم البلدان في العالم وأشهرها.

بالطبع لم يكن ذلك ليحصل لولا حكمة القائد الشيخ زايد والذين تربوا على يديه وخلفوه لاحقاً في حمل أعباء المسؤولية وإكمال الطريق الذي اختطه. وهو يقول في أهمية التعليم: «إن أكبر استثمار للمال هو استثماره في خلق الأجيال من المتعلمين والمثقفين ولقد أنعم الله على هذا البلد بالخير وواتته الفرص لبذل المال في خدمة العلم، وليس لنا أن ندع هذه الفرص تفوتنا، بل علينا أن نسابق الزمن وأن تكون خطواتنا نحو تحصيل العلم والتزود بالمعرفة أسرع من خطانا في أي مجال مهما عرَّ شأنه».

نحن هنا أمام حكمة عميقة ورؤية استراتيجية بعيدة المدى تحلى بها ولاشك من يقارن بما كانت عليه أبو ظبي في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي ويقارن الحال بما عليه اليوم، يكتشف حجم النقلات النوعية التي حصلت بفضل عمق التخطيط والمعرفة والجهد الكبير الذي بذله سموه وهو يوصل الليل بالنهار مشغولاً برسم ملامح الدولة الحديثة وتحقيق مصالح شعبها.

وتؤكد الإحصائيات التي أجريت عام 1977 زيادة كبيرة في أعداد الطلبة في المدارس الحكومية والأهلية وصلت إلى أكثر من عشرين بالمئة مقارنة بعام 1975، وقد تضاعف هذا الرقم بشكل مضاعف





في السنوات اللاحقة حيث بات التعليم في الإمارات اليوم وجهة لجميع الطلاب في العالم. الأمر نفسه ينطبق على عدد المعلمين وعدد المدارس، ومن يود العودة إلى الجداول التي تقدم الأرقام التفصيلية يمكنه أن يكتشف حجم التطور الحاصل في القطاع التعليم بشكل عام.

ووفقاً للإحصائيات الرسمية، بلغ عدد المدارس خلال العام الدراسي 1979 - 1980، «243» مدرسة، تضم 51631 طالباً، و44446 طالبة في التعليم الصباحي إضافة إلى 77 مركزاً لتعليم الكبار تضم عشرة آلاف و 104 طلاب وثلاثة آلاف و 985 طالبة. كما أن عدد المدارس الخاصة غير الحكومية بلغ 57 مدرسة تضم 13 ألفاً و 40 طالباً وطالبة. وبالمقارنة مع عام 1953 - 1954، كان عدد المدارس لا يتجاوز العشرة وتضم 230 طالباً، فالقفزة التعليمية واضحة من الإحصائيات التي بدأت ترتفع تدريجياً منذ بداية السبعينيات.

في ذلك اللقاء سألته عن كيفية تمكنه من الإلمام بجميع الشؤون المتشعبة في البلاد وملاحقته لأدق التفاصيل، وعن سبب مراهنته الكبيرة على التعليم بشكل أساسي؟ حينها أجاب ببسمته المعهودة: «إن السباق مع الزمن يعني هنا بوضوح طموحاً لا حدود له نحو المستقبل. ومعنى أن تكون خطواتنا نحو تحصيل العلم أسرع من خطانا في أي مجال مهما عز شأنه».





لقد استوقفتني كثيراً كلمته وتأكيده أن خطواتنا نحو تحصيل العلم يجب أن تكون أسرع خطانا في المجالات الأخرى. فهذه الرؤية تنم عن معرفة كبيرة تتعلق بتأهيل الكوادر الذين سيتحملون عملية التطور التي ستحصل في المجالات الزراعية والصناعية والتجارية والسياسية وغير ذلك. إنها رؤية استراتيجية في بناء الدولة الحديثة المعتمدة على كوادرها الذين يجب أن يتولوا التخطيط ورسم المسارات ومعالجة مختلف القضايا، وكل ذلك لن يتم بالطبع من دون التعليم.

عملية البناء التعليمي الداخلي، واكبتها عملية كبيرة في إرسال البعثات للخارج، وكان سموه حريصاً بشكل دائم على إرسال جميع الاختصاصات للدراسة في الخارج من أجل توفير كافة الخدمات في البلاد. وعلى صعيد المنهاج، كان مما يسترعي الانتباه، تأكيده على تأكيد الهوية العربية والهوية الاتحادية، حيث عرف الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، بشعوره القومي واهتمامه بقضايا العرب المختلفة، وقد عمل على تبني الكثير من بعثات الطلبة العرب إلى الخارج وقام بإرسالهم على نفقة دولة الاتحاد من أجل الاختصاص. إننا من دون شك أمام شخصية لن تتكرر بسهولة في التاريخ، فطموحاته لم يكن لها حدود، بل إنه كلما حقق هدفاً انتقل إلى آخر، في عملية تراتبية متفاعلة ومنسجمة جعلته لا يهمل التعليم ولا الزراعة أو الصناعة





والتجارة وغير ذلك من الجوانب الهامة في بناء الدولة الحديثة.

من يعود إلى المادة الأولى من القانون الاتحادي بشأن إنشاء وتنظيم جامعة الإمارات العربية المتحدة، لن يتفاجأ بأنها جامعة عربية إسلامية. وبأنها منارة للفكر الإنساني، ومركز رائد لتنمية الثروة البشرية ونشر الثقافة وتعميق جذورها وتطوير المجتمع مع الحفاظ على عناصره الأساسية وتجلية تراثه. هذه القوانين في تنظيم التعليم الجامعي التي أشرف الشيخ زايد شخصياً على وضعها وتعديلاتها، رسمت في الحقيقة توجهه الفكري العربي والإسلامي والإنساني. بعد صدور القانون الاتحادي لإنشاء وتنظيم الجامعات قال رحمه الله: «كانت فكرة إنشاء هذه الجامعة حلمًا عزيزاً وأملاً كبيراً يراودنا منذ أمد بعيد، إلى أن شاء الله وجلت قدرته أن يتحقق هذا الحلم بالقانون رقم 4 لسنة 1976 بإنشاء وتنظيم جامعة الإمارات العربية المتحدة، ومنذ صدور هذا القانون وجميع الأجهزة في الدولة تسخر كل طاقاتها وامكانياتها لتنفيذه... ولقد استقدمت الدولة لذلك أعلى عناصر الخبرة في شؤون الدراسات الجامعية، ثم وضع التخطيط اللازم لأن تكون هذه الجامعة مثلاً ونموذجاً يضاهي أحدث وأرقى النظم الجامعية في العالم».

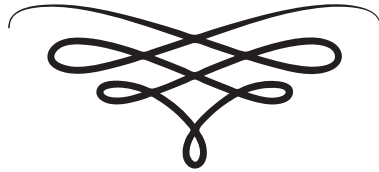
اليوم، وبعد أن مضت هذه السنوات الطوال، أسترجع كلام وحكم الوالد الشيخ زايد وأتأمل قدرته على رؤية المستقبل الذي كان يحدثنا عنه في جميع اللقاءات التي تتم، لقد كان متأكداً من نجاح عملية





التنمية الشاملة والكبيرة التي بدأها، وعندما حكى لي قصة «أين تقع أبو ظبي»، كان الغرض منها الإشارة إلى حجم المهمات الملقاة على عاتقنا نحن الجيل الشاب حينها، فنحن مطالبون بإنجاز لا يقل عما حققه الشيخ الوالد زايد رحمه الله. لقد عمل بشكل دائم على تحقيق الازدهار والاعتناء بالتاريخ وبناء المستقبل ولم يكن ينسى أي أمر من العناية والمتابعة الدائمة.

أين أصبحت إمارة أبو ظبي؟ وأين أصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم. لاشك أن استحضار السؤال يجب أن يتكرر عند جميع الأجيال في كل مرحلة من المراحل، كي يتذكر الجميع أن إرادة العمل التي علمنا إياها الوالد الشيخ زايد رحمه الله، من شأنها أن تغير الواقع بشكل جذري وتضعه على السكة الصحيحة للتطور التي تليق بتاريخنا العربي المجيد حيث كانت المدن العربية جميعها بمثابة منارات للبشرية.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







بطل الأرض





في شهر أبريل 2005، اختار برنامج الأمم المتحدة للبيئة «يونيبي» الوالد الشيخ زايد، رحمه الله، واحداً من ضمن سبع شخصيات عالمية بوصفهم أبطالاً للأرض، وذلك اعترافاً وتقديراً لجهوده التي حققها في سبيل حماية البيئة في دولة الإمارات العربية المتحدة وفي مناطق أخرى من العالم. ورغم أن هذا التتويج جاء بعد رحيله بعام واحد، إلا أنه كان نتيجة لجهود كبيرة حققها في حماية البيئة والحياة الطبيعية والمناخ. وللأمانة التاريخية، فإنه رحمه الله، لم يكن ممن يهتمون بالمناصب والألقاب ولم يسع إليها يوماً، لكن المنظمات العربية والدولية، كانت تعرف حجم الأعمال والمشاريع التي قام بها، وبالتالي كان من الطبيعي أن ينال الكثير من الجوائز والتكريمات في حياته المليئة بالإنجازات.

حلم زايد على الدوام، بتعميم تجربة الاتحاد على الدول العربية، وانتقلت مشاريعه التنموية والبيئية إلى الأخوة الأشقاء العرب والمسلمين وبقيّة دول العالم، فقد كان منفتحاً للغاية ومتفاعلاً في نقل التجربة للآخرين، وطيلة حياته كان باسطاً يده وقلبه وعقله لأخيه الإنسان أينما وجد. فعلى الصعيد المحلي، أعطى أولوية لقضية المياه، وبناء على توجيهاته، أجرى العديد من الدراسات وفق أسس علمية، بهدف إيجاد وسائل وآليات جديدة فاعلة لحماية المياه من عوامل الهدر وفتح آفاق مستقبلية نحو مصادر إضافية جديدة، بالإضافة إلى تدعيم وحماية المخزون





الجوفي المهم. كما اهتم بالحياة البرية، فأنشأ المحميات الطبيعية بعدما أصبح عدد كبير من الكائنات مهدداً بالانقراض. مثل حيوانات الريم والنعام والغزلان العربية والمها معقوفة القرون. ويعود الفضل في نجاح خطط وبرامج الحفاظ على المها العربي في دولة الإمارات إلى الاهتمام الشخصي والخاص من الشيخ زايد رحمه الله، حيث كان من أوائل الذين تنبهوا في بداية الستينيات إلى أن المها العربي أصبح مهدداً بالانقراض فأصدر توجيهاته بأسر ما يمكن منها، حيث تم أسر 4 منها، وأمر من أجل الحفاظ عليها بتأسيس أول حديقة حيوان في العين. وبعد بدء عمليات تطوير جزيرة صير بني ياس، بدأ برنامج توطين المها وأسفرت جهود الإكثار عن نجاح منقطع النظير فازدادت أعدادها في الدولة، حتى أصبحت دولة الإمارات تمتلك أكبر عدد منها يصل إلى ما يزيد على 2500 رأس، بعد أن كانت معرضة للانقراض بسبب الصيد الجائر والزحف الحضري. وفي مجال الصقارة والمحافظة على الطبيعة، استمرت جهود سموه، فوجه رحمه الله في عام 1977 بإكثار طائر الحبارى الآسيوي في الأسر في حديقة حيوان العين حتى قبل أن يصبح مهدداً بالانقراض، حيث أُعلن في عام 1982 عن تفقيس أول فرخ في الأسر في دولة الإمارات. وفي عام 1989، تم تأسيس المركز الوطني لبحوث الطيور الذي أصبح فيما بعد جزءاً من هيئة البيئة - أبوظبي، الذي أطلق برنامجه الطموح لإكثار الحبارى الآسيوية، والذي تطور من بداية متواضعة حتى وصل إلى إنتاج ما





يزيد على 200 طائر في عام 2004، وهو يسير باتجاه الهدف بعيد المدى الذي حدده الشيخ زايد رحمه الله، بإنتاج 10 آلاف طائر حباري آسيوي سنوياً وإطلاق معظمها لزيادة أعداد المجموعات البرية. كما وجه الشيخ زايد، بضرورة تعزيز التعاون وإجراء البرامج المشتركة مع الدول الواقعة في نطاق انتشار الحباري من الصين إلى اليمن، إضافة إلى تحفيز الدول المعنية بالانضمام إلى المبادرات المحلية والإقليمية والعالمية الرامية إلى الحفاظ على طيور الحباري الآسيوية، التي تمثل قيمة إنسانية وتراثية لا يمكن الاستغناء عنها وخاصة في شبه الجزيرة العربية.

ومن أهم مبادرات الشيخ زايد في مجال العناية بالصقور ورياضة الصيد بالصقور والمحافظة عليها كتراث مهم في المنطقة، تنظيم المؤتمر العالمي الأول للصقارة والمحافظة على الطبيعة في مدينة أبوظبي في أواخر عام 1976 والذي جمع للمرة الأولى بين صقاري الجزيرة العربية وصقاري أميركا الشمالية وأوروبا والشرق الأقصى. وأحيا المغفور له الشيخ زايد تقليد إعادة إطلاق العديد من صقوره إلى البرية في نهاية موسم الصيد، حيث بدأ برنامج زايد لإطلاق الصقور في عام 1995 وبحلول عام 2004 وصل مجموع الصقور التي تم إطلاقها إلى ما يقارب الألف من صقور الحر والشاهين التي نجحت في العودة إلى حياتها البرية الطبيعية، بعد إطلاقها على مسار هجراتها الأصلية في باكستان وأواسط آسيا.





الحفاظ على الصقر الحر وبتوجيهات الوالد الشيخ زايد رحمه الله، دعمت دولة الإمارات الكثير من الدراسات والبحوث التي اهتمت بالمحافظة على الصقر الحر، باعتباره من الطيور المهددة بالانقراض كما كانت دولة الإمارات أول من دق ناقوس الخطر. وجاء إعلان أبوظبي الذي صدر عن ندوة الصقر الحر في دول الانتشار، التي نظمتها هيئة البيئة. أبوظبي خلال عام 2003، لتعزيز هذا التعاون ويدعو للقيام بالمبادرات والمشاريع المشتركة بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في مجال المحافظة على الصقر الحر.

ما يمكن الحديث عن إنجازات الوالد الشيخ زايد رحمه الله، في مجال البيئة والحياة البرية، كبير جداً، لهذا قلنا إن تتويجه مع سبعة آخرين كأبطال للأرض، لم يكن عبثاً. وقد حظيت هذه الجهود باحترام وتقدير المنظمات والمؤسسات العربية والإقليمية والدولية في أكثر من مجال، فقد نال زايد العديد من الجوائز على المستويين العربي والدولي، حيث منح مهرجان الشباب العربي الذي عقد في بيروت خلال شهر سبتمبر 1993 المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد لقب رجل البيئة والإنماء لعام 1993، وذلك تقديراً لدوره الرائد في حماية البيئة ومكافحة التصحر. وفي نفس العام منحته جامعة الدول العربية وشاح رجل الإنماء والتنمية تعبيراً عن اعتزاز كل الشعوب العربية





والإسلامية بجهوده المقدرة في مكافحة التصحر والاهتمام بالبيئة والمشاريع الإنمائية على مستوى الإمارات والدول العربية والإسلامية الشقيقة. وفي عام 1995 حصل على جائزة مركز الشرق الأوسط للبحوث والدراسات بجدة «الشخصية الإنمائية لعام 1995». وفي ديسمبر عام 1995 قدمت للشيخ زايد جائزة تقديرية وميدالية ذهبية من منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو)، تقديراً لجهوده في نشر التنمية الزراعية داخل دولة الإمارات ومساهماته في عدد من الدول النامية في هذا المجال.

وتبرع المغفور له الشيخ زايد بتكلفة تدريب وتخرج طلاب وطالبات من برنامج الماجستير البيئي من جامعة الخليج العربي بالبحرين، وجاءت هذه المنحة السخية تتويجاً لجهوده طيب الله ثراه، للحفاظ على البيئة والحياة الفطرية وتنميتها ورفع القدرات البيئية للمواطنين الشباب في التحصيل العلمي والاختصاص الأكاديمي، سواء في جامعة الإمارات أو على المستوى الخليجي والإقليمي في جامعة الخليج العربي بالبحرين. ومن الجوائز والأوسمة العالمية وسام المحافظة على البيئة الباكستاني وجائزة أعمال الخليج عام 1966. ونال المغفور له الشيخ زايد في مارس 1997 جائزة (الباندا الذهبية) من الصندوق العالمي لصون الطبيعة تقديراً للجهود التي بذلها في مجال الحفاظ على البيئة وحماية الحياة البرية، ليكون بذلك أول رئيس دولة





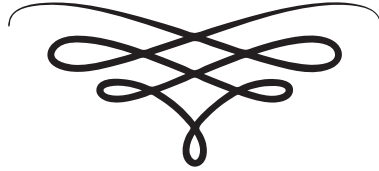
يحصل على جائزة بيئية عالمية، ومنح الشيخ زايد في يونيو من عام 1997 شهادة الدكتوراه الفخرية في مجال الزراعة من جامعة عين شمس، وذلك تقديراً لجهوده الكبيرة في مشاريع التنمية الزراعية. كما اختارته منظمة المدن العربية في دورتها السادسة التي عقدت بالدوحة في مارس 1998 لنيل جائزة «داعية البيئة»، وفي نفس العام اختير كأبرز شخصية عالمية من قبل هيئة رجل العام الفرنسية، تقديراً لجهوده في مكافحة التصحر والاهتمام بالبيئة والمشاريع الإنمائية. وبمناسبة يوم البيئة العالمي في يونيو 2000 كرم لبنان الوالد الشيخ زايد رحمه الله، واختاره رجل البيئة لنفس العام، وتسلم شهادات التقدير وهدايا تذكارية تاريخية من معهد الجودة اللبناني. واعترافاً من منظمة الأغذية والزراعة «الفاو» بجهود الشيخ زايد في خدمة البشرية واهتمامه الكبير بقضايا الزراعة والغذاء ومصادر المياه وضرورة توفير ذلك للناس أينما كانوا وخاصة في البلدان الفقيرة، قررت المنظمة في شهر مايو 2001 منحه ميدالية اليوم العالمي للأغذية. وكرمه برنامج الأمم المتحدة للبيئة «يونيب» في عام 2002 تقديراً وعرفانا لجهوده المخلصة في مجال حماية البيئة ومكافحة التصحر ونشر الرقعة الخضراء وتسخير كافة الإمكانيات لحماية البيئة والمحافظة عليها.

كرّس الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، طيلة حياته،





قاعدة تقول إن العمل جوهر الإنسان وغايته المثلى، فلم يكن
يتوانى أو يتردد في وضع المشاريع تلو المشاريع والمباشرة
في تنفيذها وتوفير إمكانات النجاح لها، فهو لم يكن قائداً
عادياً يمكن أن ينساه العالم بعد رحيله بوقت قصير، لأن آثاره
 وإنجازاته مازالت تدل عليه وتحمل اسمه في جميع بقاع الأرض.
إنه الذاكرة الوطنية الغنية لأبناء الإمارات، وهو الضمير الحي
الذي لا يغفل ولا ينام، بالنسبة للعرب والمسلمين، وهو الحالم
دوماً بعالم نظيف يسترد عافيته عبر العودة إلى الطبيعة. هكذا
كان بطل الأرض، وهكذا سيبقى فينا إلى أبد الأبد.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







بناء الإنسان يسبق بناء المصانع





من «أوحلة» حتى «دبا»، قطعنا كيلومترات طويلة على الشاطئ، الشيخ زايد وأنا. وكل عدة كيلومترات كان يطلب من السائق التوقف، فننزل كي يعاين منطقة أو يتفقد شجرة أو بناء، فيجول بنظره من شاطئ بحر العرب باتجاه الداخل. أحياناً، كان يصمت ويتأمل المشهد كأنه يفكر بشيء ما. ومرات يقول جملاً مختصرة تلخص ما يجول في خاطره. وتبعاً لمعرفتي به، كنت أعرف أن ذلك التأمل والتوقف طوال الطريق لم يكن عن عبث، إنه يحاول أن يجول بناظره على طول البلاد. كانت الفجيرة بالنسبة إليه هامة بموقعها الاستراتيجي وطبيعتها الجبلية الصخرية. تحدّث رحمه الله عن الفتوحات الإسلامية منذ أكثر من ألف عام، وكيف كان المسلمون يدركون أهمية المنطقة ويعملون على توطيد أركان الدولة الإسلامية الجديدة. ومن فوق إحدى الصخور العالية في «دبا»، قال رحمه الله وهو يشير إلى المحيط في الشرق، والعمق الجغرافي في الغرب: «أحلم أن نعمم تجربة الاتحاد على جميع الدول العربية، فلا خلاص لنا ولا استقرار إلا بالوحدة، ومثلما نحن هنا بوابة للخير والتجارة عبر المحيط، فإن هذه البوابة شهدت الكثير من الغزوات الخارجية في السابق. لابد لعمقنا الغربي أن يكون أرضاً واحدة مع واجهتنا الشرقية لأن المصير واحد عند الخطر. وأقصد بالعمق الغربي تلك المساحات الشاسعة التي تصل إلى المتوسط، إنها الجغرافيا الواحدة التي لابد أن تكون كتلة موحدة في المستقبل كي تكون أكثر أمناً وازدهاراً للأجيال القادمة».





كان مشغولاً بالوحدة بين العرب جميعاً، حتى المشاريع الصغيرة على نطاق الاتحاد، كان ينظر إليها من بوابتها الواسعة على اعتبار أنها جزء مما سينجز لاحقاً على صعيد الوطن الأكبر. تفكير استراتيجي عميق وبعيد المدى تميز به رحمه الله، ويمكن أن نستشفه في جميع القمم العربية اللاحقة وفي جميع الأحداث التي حصلت وعمل على معالجتها من باب الشعور القومي المكرس لوحدة العرب على رأي واحد وموقف واحد.

حاول الشيخ الوالد زايد طيب الله ثراه، أن يسابق الزمن كي ينجز أكثر ما يستطيع من المشاريع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهو يدرك أن الزمن لن يساعد المرء على تحقيق كل الأحلام دفعة واحدة، ولهذا أصر على أولوية بناء الإنسان القادر على إكمال الطريق وفق النهج والغاية التي رسمها. إن الإنسان بالنسبة إليه هو محور القضية وهو القادر على بناء جسر مستقر بين التاريخ والحاضر والمستقبل. بعد وقفة طويلة في صخرة عالية في «دبا»، تحركنا باتجاه الطريق، وأسّر رحمه الله إلي بثقة:

«بناء الإنسان ضرورة وطنية وقومية تسبق بناء المصانع والمنشآت، لأنه من دون الإنسان السوي لا يمكن تحقيق الازدهار لهذا الشعب». لقد أثبتت الأحداث اللاحقة، صحة هذا الكلام الكبير والحقيقي وتوقعاته المستقبلية حول المنطقة والعالم العربي والعالم. وقد كان على حق في مراهنته على الإنسان في إكمال المسيرة وتحقيق





الأهداف التي حملها الأجداد والآباء ثم نقلوها للأبناء الذين بدورهم سيفعلون الشيء نفسه.

لم يكن حرصه على معاينة الجغرافيا واكتشافها بعينه ويديه، عبثاً، فقد كان يدرك أهمية ذلك في تكوين الوعي وحسن التخطيط انطلاقاً من الرؤية الاستراتيجية العامة. وقد قال في ذلك:

«يجب أن نعطي أبناءنا اهتماماً خاصاً بمعرفة بلادهم والمناطق التي يعيشون فيها. يجب أن يعرفوا كل منطقة من مناطق دولة الإمارات العربية المتحدة. وانطلاقاً من معرفتهم لبلادهم تنطلق معرفتهم إلى الدول العربية الشقيقة والصديقة». كان يختصر العلم بجمل قصيرة، فكيف يمكن أن تخدم أرضاً لا تعرف تفاصيلها، وكيف يمكن أن ترتقي بشعب لا تعرف عاداته وتقاليده وتاريخه؟ كلها أسئلة لا يتحملها سوى القادة الكبار، والحمد لله، تمكن من نقل تلك الهواجس الدائمة إلى أصحاب السمو من أبنائه، الذين يكملون اليوم الطريق.

حضرت مع الشيخ الوالد زايد رحمه الله أحد المهرجانات الختامية للأنشطة المدرسية عام 1983، وكانت هناك معروضات صنعها الطلاب بأيديهم مستخدمين مواد من البيئة حيث حولوها إلى أشكال فنية جميلة. لقد رأى نوعاً من الإبداع الكبير في هذه الأعمال





التي تدل على إمكانية أن يتحول أولئك الأطفال إلى رجال أشداء في المستقبل قادرين على بذر النبت الصالح في هذه الأرض التي يصنعون من أشتائها البسيطة معروضات فنية رائعة. في تلك الزيارة قال مخاطباً الأطفال المشاركين:

«إن هذه الأعمال تنبئ بمستقبل علمي سليم لأبنائنا الطلاب، حيث يبدأ النشء صغيراً ثم يكبر بفضل الرعاية والتوجيه السليم. إن الإنسان يضع حبة في الأرض، ومع رعايتها تصبح شجرة مثمرة يستفيد منها الإنسان». إنها رؤية عميقة لا يمتلكها سوى القادة العظام، ولولا تلك الرؤى البعيدة المدى التي تميز بها، لما تمكن الاتحاد من الانطلاق والوصول إلى ما وصل إليه الآن. وهذا الأمر يتضح في تلك المرحلة التاريخية مثلما يتأكد عندما قام سموه بالعمل على تأسيس مجلس التعاون الخليجي من أجل جميع دولة شبه الجزيرة العربية في اتحاد واسع من شأنه أن يجعل كلمتهم واحدة لأن مصلحتهم مشتركة ومصيرهم واحد.

في حضور الشيخ الوالد زايد رحمه الله، يجب على المرء أن يعيش على الدوام حالات من العصف الذهني المستمرة من أجل اللحاق بأفكاره ومشاريعه وكلماته المختصرة التي تشرح المرحلة وطبيعة التحديات المستقبلية وما يجب علينا إنجازه من أجل تلاشي المخاطر التي قد يتعرض لها الجيل القادم.





أدرك زايد مبكراً ضرورة الإمساك بجميع أطراف معادلة التطور من أجل النجاح، بدءاً من بناء الإنسان، ومن ثم اتباع الوسائل العلمية في التخطيط، وصولاً إلى التنفيذ الأمين للمشاريع. كلها تبدو جزءاً من عملية واحدة تضمن النجاح، وغياب أحد أطرافها يعني الفشل. من هذه القاعدة، كان يتحدث تبعاً عن العلاقات الدولية مع البلدان الأخرى كالهند وباكستان وإيران وأوروبا، ثم ينتقل إلى ضرورة العناية بالمياه الجوفية والأفلاج، وبناء المساكن الشعبية والمدارس والمشافي. العملية التطورية بالنسبة إليه كانت متكاملة متصلة لا انفصال فيها. لهذا قلت إن من يرافق ويعايش الشيخ زايد في رحلته مع الحياة لابد أن يعيش حالات عصف ذهني متواصل كي يلحق بتفكيره وبمجممل المشاريع والأفكار التي يطرحها.

لنعد إلى شهر أبريل من عام 1973، عندما زار المعرض الثاني لمدارس أبو ظبي وتحدث إلى الحضور قائلاً: «إن العلم والثقافة أساس تقدم الأمة وأساس الحضارة وحجر الأساس في بناء الأمة، و لولا التقدم العلمي لما كانت هناك حضارات ولا صناعة متقدمة أو زراعة تفي بحاجة المواطنين. بالتعليم الممتاز نستطيع أن نوفر جيلاً من المواطنين يشرف على بناء المصانع ويدر المشروعات التي بدأت تُقام في مختلف أنحاء الدولة».

هذه هي طبيعة تفكيره إنها الشمولية في التفكير والرؤيا بعيدة المدى، وبناء على تلك القواعد كان يوجه المسؤولين منذ اجتماع

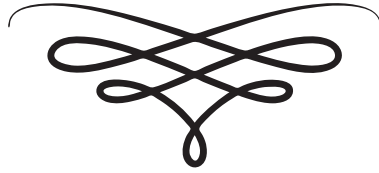




أول مجلس وزراء للاتحاد، إلى اتباع هذا النهج ويقول لهم إنه بناء على ذلك سستم عملية تقييم النتائج التي ستصلون إليها لاحقاً.

رهان زايد، على بناء الإنسان، يتضح في أقواله وأعماله ومشاريع التي نفذها على الأرض. فبعد تلك الزيارة وجه بالتركيز على هذا الجانب. وكأنني أسمعُه الآن بعد عقد من السنوات التي مرت على لقائنا ذاك في الفجيرة، يقول:

«إن موضوع رعاية الطفولة ضمن خطط التنمية الشاملة وتجهيز الطاقات البشرية القادرة على النهوض بالمهام الجسام التي تنتظر أمتنا تعد من أهم موضوعات الساعة وأعظمها أثراً على تطور حياة شعوبنا ومستقبل أبنائنا وأحفادنا أن التنمية وسيلة وليست غاية في حد ذاتها وأنها وسيلة لضمان كرامة الإنسان وتوفير متطلبات الحياة له من طعام ومسكن وتعليم ورعاية صحية واجتماعية وفرص عمل وإنتاج».





مع زايد | ذكريات يرونها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







غزو الكويت..

2 أغسطس 1990





في يوم الخميس ، الثاني من اغسطس عام 1990 كنا في الرباط ، في المغرب الشقيقة ، وفي وقت متأخر من الليل ، وردني إتصال قلب الموازين ، عن اجتياح القوات العراقية لأراضي دولة الكويت.

وانتشر الخبر كانتشار النار في الهشيم وبدأت الأزمة الخليجية ، بل غدت آنذاك أزمة عالمية تهدد استقرار الأمن القومي العربي.

وفي مغرب نفس اليوم وردني اتصال من معالي أحمد خليفه السويدي الممثل الشخصي آنذاك للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وطلب مقابلي عاجلاً.

وأتى بعد سويعات و بصحبته حمودة بن علي وزير الداخلية آنذاك والدكتور مانع سعيد العتيبة ، وأخبرني بطلب الوالد الشيخ زايد رحمه الله بصياغة البيان الرسمي وتوضيح موقف دولة الإمارات العربية المتحدة الرافض لهذا العدوان الغاشم على الكويت الشقيقة.

واجتمعنا في بيتي في الرباط وبدأنا بإعداد البيان الرسمي ، والذي استغرق منا وقتاً طويلاً لصياغته ، وذلك لمراجعتنا تبعات هذه الأزمة ومواقف وبيانات الدول التي صدرت مسبقاً حتى يكون البيان واضحاً وشاملاً لموقف الدولة الرسمي.



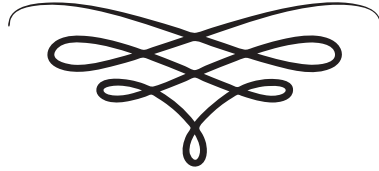


اتصل أحمد خليفه السويدي بالوالد الشيخ زايد في وقت متأخر من الليل ليخبره بجاهزية البيان حين انتهينا منه للتو ، وإن كان يريد الإطلاع عليه صباحاً لتأخر الوقت.

لكن الشيخ زايد رحمه الله أصر أن يستقبلنا في هذا الوقت المتأخر من الليل.

واتذكر جيداً هذه الليلة ، حيث استقبلنا في غرفة نومه رحمه الله. وكان يجلس على الكنبه ونحن اجتمعنا حوله على الأرض نملي عليه البيان ونراجعه معاً ، وحين انتهينا أمرنا أن نذيع هذا البيان في الحال وأن لا نتأخر أبداً.

وأخبرني لاحقاً الوالد الشيخ زايد رحمه الله أنه سيغادر صباحاً في زيارات عاجلة إلى جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية ، لمحاولة التوصل إلى حل لهذه الأزمة وإصدار الأوامر المتعلقة بالشأن العربي الرفض لهذا العدوان على الكويت الشقيقة..





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







لا تفريط بالحقوق





رغم علاقات الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، الجيدة مع جميع دول العالم، إلا أن ذلك لم يكن يعني عدم التمسك بالحقوق الوطنية والقومية للعرب، حتى لو كانت تلك الدول مثل الولايات المتحدة والدول الأوروبية. وقد اشتهر بمواقفه المساندة للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية وعلى أرض الواقع بما قدمه من مساعدات للفلسطينيين على صعيد بناء المشافي والمساكن وتقديم المساعدات العينية. فمن ميزاته القيادية قدرته على التوازن في العلاقات الخارجية والتمسك بالمبادئ، وإجادته الدبلوماسية وحسن إيصال رأيه للآخرين بشجاعة مستندة إلى قوة البرهان والاستقلالية في اتخاذ القرارات بما يتوافق والمصلحة الوطنية للاتحاد ومصلحة العرب القومية.

في السابع عشر من ديسمبر عام 1991، صوتت الإمارات في عهده ضد إلغاء قرار الأمم المتحدة رقم 2279 القاضي بأن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية. كما رفضت الإمارات المشاركة في المؤتمر الاقتصادي لتنمية الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذي عقد في الدوحة عام 1997، رغم الضغوط الأميركية التي كانت تدفع الدول للمشاركة في هذا المؤتمر. فهو كان يتمسك بالحقوق الفلسطينية وحق الدفاع عن النفس، وكان يدعو الولايات المتحدة إلى القيام بدور الوسيط النزيه في مفاوضات السلام وعدم الكيل بمكيالين في موضوع مكافحة الإرهاب الدولي حيث تعتبر إسرائيل من أشهر من





يمارس الإرهاب ضد الفلسطينيين.

وفي 20 فبراير 1982 أكد المغفور له الشيخ زايد «طيب الله ثراه» أن القضية الفلسطينية هي قضية الأمة العربية المركزية الأولى وأنه لن يكون هناك سلام عادل وشامل في الشرق الأوسط إلا بعودة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني وطالب الدول الأوروبية بأن تميز في سياستها بين المعتدي والمعتدى عليه والوقوف إلى جانب الحق والعدل وتأييد حق الشعب الفلسطيني.

في الثامن من سبتمبر من عام 1973، وأثناء حضور مؤتمر قمة دول عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر، ألقى الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، خطاباً أكد فيه رفض دولة الإمارات العربية المتحدة للتدخلات الأجنبية في شؤون الدول والتميز العنصري بأشكاله كافة والتمسك بمبادئ عدم الانحياز. في ذلك المؤتمر قال لي: «إنه من الحكمة دائماً أن نتبع سياسة نحافظ فيها على المبادئ الوطنية والإنسانية، ونبقي على علاقاتنا الدولية الجيدة مع مختلف البلدان. هذا هو معنى السياسة الحقيقي، وكل مفهوم غير ذلك، فهو لا يصب في المصلحة الوطنية».

تميز الشيخ زايد بالحكمة في رسم السياسة الدولية، وحقق لدولة الإمارات العربية المتحدة، حضوراً لائقاً في المحافل الدولية يقوم على الاحترام المتبادل والتزام الحقوق والواجبات والالتزام بالقانون





الدولي بما ينسجم مع المصالح الوطنية والقومية. والآن تعود بي الذاكرة إلى أيام 1982، عندما حصلت مجازر صبرا وشاتيلا ضد الفلسطينيين في لبنان، في ذلك الوقت وعند انتشار صور وأنباء هذه المجزرة الرهيبة، غضب غضباً شديداً، وقال لي إنه لابد من التصرف بشكل أو بآخر، فالعرب ليسوا ضعفاء إلى هذه الدرجة حتى يصمتوا على هكذا مجازر. وقد قام بإرسال رسائل إلى رؤساء الدول ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن حول المجازر الوحشية التي ارتكبتها إسرائيل في مخيمي صبرا وشاتيلا مطالباً بتحريك دولي سريع لوضع حدٍّ للمأساة المستمرة للشعب الفلسطيني. ولم يكن ذلك غريباً عليه، فالقضية الفلسطينية لم تغب يوماً عن الوالد المؤسس، بل كانت دائمة الحضور في فكره وتفكيره في مجالسه المحلية والاتحادية وفي المحافل الدولية.

كان الهاجس العربي لا يغادر تفكير الشيخ زايد، وبعد العديد من الأحداث والحروب التي أَلمت بالعرب، دعا إلى إلى ضرورة إجراء مراجعة شاملة للموقف العربي، محذراً من خطورة استمرار حالة التمرُّق والتردي التي تمر بها الأمة العربية، وفي 5/9/1982 وصل الشيخ زايد إلى المملكة المغربية للمشاركة في أعمال القمة العربية التي استضافتها مدينة فاس، وعبر عن أمله في أن تخرج القمة بقرارات مهمة تعزز من العمل العربي المشترك. وقال كلمة شهيرة مفادها: «إذا كان من الصعب في هذه المرحلة تحقيق





وحدة سياسية جغرافية على الصعيد العربي، فلا بد من العمل على تحقيق التكامل الاقتصادي العربي وخاصة في مجال التنمية الزراعية والأمن الغذائي وتطوير الصناعات وتأسيس الأسواق المشتركة».

نظرة الشيخ زايد كانت دائماً بعيدة المدى، وكان بإمكانه أن يرى ما لا يراه السياسي العادي، فهو صاحب الرؤية الاستراتيجية التي اشتهر بها منذ إصراره على تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ونجاحه في هذا الأمر، وصولاً إلى تأسيسه لمجلس التعاون الخليجي، ولهذا كله كان يدرك تداعيات الأعمال التي تشق الصف العربي وتضعفه ويحذر منها بشكل كبير، ولهذا قال في التاسع من سبتمبر من عام 1991: «إن الخسارة الكبرى من كارثة الخليج - الغزو العراقي للكويت - ليست في المال بل في تفرق العرب والمسلمين». وفي الشهر نفسه من عام 1991، التقى رحمه الله أخاه المغفور له الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت، وأكد له أن الإمارات ستسهم في دعم الكويت لتعود إلى دورها الرائد الذي كانت تضطلع به قبل تعرضها للغزو العراقي.

المغزى من كل هذا السرد التاريخي، هو التأكيد على الجانب المبدئي الذي تحلى به الوالد الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، فهو مع الحق والعدالة الإنسانية بغض النظر عن أسماء الدول المتعلقة بها. وهو مع الحق العربي رغم كل الضعف الذي يعتري العرب.





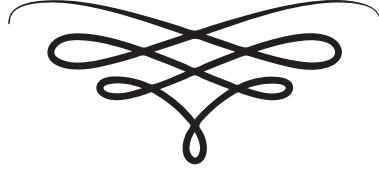
لقد كان على الدوام مشغولاً بتحقيق الحلم العربي وإعادة المجد لهذه الأمة من المحيط إلى الخليج. ولهذا كله، نال مرتبة عالية عند الشعوب العربية جميعها، فهو سيد القادة الذي لا يهاب في قول الحق، لومة لائم، ولا يهادن الباطل مهما كان متغطرساً، ولا يتردد في تقديم يد العون للمحتاج لأن قناعته الراسخة تقول إن البشر شركاء في الإنسانية، وعليهم التعاون والتعاوض في الملمات.

إن ما حققه الوالد الشيخ زايد طيب الله ثراه، أكبر من أن يحصى على جميع الصعد، واستناداً إلى مبدئه الأزلي بضرورة أن ينال كي ذي حق حقه، لم تغب المرأة والطفل عن اهتمامه، وقد شهدت الإمارات أولى الجمعيات النسائية في عهده، كما تأسس الاتحاد العام النسائي، وصدرت القوانين التي ارتكزت إليها المؤسسات العاملة في الدولة في ما يتعلق بنيل المرأة حقوقها بالتساوي وكشريك مسهم يعتد بقدراتها وآمالها، من أبرزها القوانين التي كفلت لها حق التعليم وحقها في أفضل مستوى من الرعاية الصحية وكذلك الحق في الحصول على المساعدات المالية بشكل مستقل، وحق الحصول على الإسكان، وغيرها من الحقوق الأساسية التي تضمن لها العيش بكرامة وتمكّنها من مواصلة حياتها بشكل آمن ومستقر. كذلك الأمر بالنسبة للطفولة ورعايتها وتوفير الأجواء المناسبة لترعرع الأجيال كي يكونوا بناءً للوطن في المستقبل. والحديث عن هذه الجوانب طویل ومليء بالعطايا التي قدمها لجميع أبناء المجتمع.





رفع زايد اسم الإمارات عالياً في المحافل الدولية لتكتسب سمعة دولية مميزة رغم تاريخها القصير، فعرفت سياسته الخارجية بالتوازن والحكمة حتى عرف بحكيم العرب، وظهرت حكمته وحرصه على إيجاد الحلول، لكل المشكلات ودعا على إلى نبذ الفرقة والخلافات والخصومات التي تؤدي إلى إشاعة الضعف والتفكك، فلم تنجح تجربة قيام دولة كونها فقط غنية، بل نجحت بفضل رؤية رجل آمن بالفكرة الاتحادية وسعى لأجلها وكرس وقته لها.





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي







لا خير في المال إذا لم
يُسخر في خدمة الشعب





الحكمة نتيجة خبرة ومراس طويل مع الحياة. فهي بمثابة الخلاصات النهائية التي يجود بها الآباء كي يحموا الأجيال من هدر الوقت في اكتشاف الطرق الأنسب للسلوك في الاقتصاد والسياسة والثقافة والتعليم. ودائماً ترتبط صفة حكيم، بمعنى خبير، بالحكمة لا تأتي من فراغ، لأنها مبنية على رصيد كبير من المحاولات في مقارعة الصعوبات والتغلب عليها. هكذا كان الوالد الشيخ زايد رحمه الله، يجود بالعبارات التي تحدد نهج الطريق دون التباس أو غموض. «لا خير في المال إذا لم يسخر في خدمة الشعب» قالها منذ زمن مبكر، عندما أصبح حاكماً لأبوظبي، وبعد اكتشاف النفط، فالأولوية تمحورت في دعم الفقراء عبر مشاريع السقاية وتخصيصهم بحصص تكفي مزروعاتهم، وعبر إشادة المساكن وشق الطرق وبناء المشافي ومؤسسات التعليم، إنها النعمة التي منَّ بها الله على هذه الأرض، كان يجب أن تُوزع من أجل مجد الشعب ورفاهيته، وتأسيس بنى الاتحاد الجديد.

اكتشف البترول في أبوظبي عام 1959، وتضاعف المردود في عهد الوالد الشيخ زايد عدة أضعاف وظفت لصالح الخدمات وتوفير الاحتياجات للناس. واستطاع أن يفرض ملكية الدولة لـ 60% من موجودات الشركات العاملة في البلاد، وهذا ما ساعد في وضع خطط التنمية وتوزيع الثروة بشكل مدروس على إمارات الاتحاد التي كانت تحتاج إلى برامج نهوض وميزانيات





كبيرة من أجل الشروع ببناء الدولة الحديثة.

النظر إلى الثروة الوطنية كملكية عامة، يرتبط بالانشأة والتربية التي تلقاها، وهي تنم عن تفانٍ من أجل خير البلاد، وحسن قراءة للتاريخ وأحوال المجتمعات. أما من الناحية الفلسفية فهي تعبر عن الإيمان الذي كان يتمتع به وهو ما دفعه إلى التكرار دائماً «سبحان من سخر لنا هذا»، وضمير «لنا» هنا كان يقصد به المجتمع بجميع فئاته وطبقاته وشرائحه. هذه الميزات لا يمكن أن تأتي من فراغ، ومن النادي أن يضطلع بها قائد إلا إذا كان عظيماً وكانت أهدافه نبيلة وعالية توازي حكمته في التعامل مع مفردات الحياة الدنيا التي شغلت بال الكثيرين وأكلت حياتهم من دون أن يتمكنوا من تحقيق شيء سوى كنز المال والرحيل لاحقاً من غير أن يتمكنوا من إنجاز شيء تذكروهم به الأجيال. في هذا الجانب، كان الشيخ زايد بعيد النظر، وصاحب رؤيا استراتيجية تتعلق بمصالح الشعب وبناء الدولة الحديثة، وكل ما عدا ذلك كان بالنسبة إليه مجرد تفاصيل لا يمكن الوقوف عندها، لأن الهاجس الذي شغله على الدوام هو اللحاق بركب التطور ونقل المجتمع من حال إلى حال أفضل.

من المؤكد أن الدول الناشئة تتطلب قادة من نوع خاص، وقد من الله على الإمارات السبع، قائداً بمستوى الوالد الشيخ زايد رحمه الله، صاحب قدر وعزيمة على مستوى المهام الجسام





المنتظرة، وهو ما يذكرنا بقول الشاعر المتنبي:
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
هذا البيت الشعري لجَدِّ العرب أبي الطيب المتنبي، كان لا يغيب
عن لسان الشيخ زايد أبداً وهو المعجب كثيراً بشعر المتنبي
والحافظ لمعظم أشعاره التي تحض على الأخلاق والفخر
وتتغنى بالشيم العربية الأصيلة. إذن نحن أمام شخصية فريدة،
لها جذورها في تاريخ العرب، وتمتلك تطلعاتها الحضارية تجاه
العالم، ولديها مشروع مجتمعي متكامل منزه عن الأهداف
الفردية والطموحات الشخصية التي تتحكم عادة بالقادة
وتحرفهم عن مسارهم إذا ما استسلموا لها.

عمل الوالد الشيخ زايد رحمه الله، في جميع المجالات على
تكريس القاعدة الأخلاقية والوطنية، التي تضع مصلحة الشعب
كغاية للخطط والبرامج والمشاريع، لذلك فإن مقولة «لا خير
في المال إذا لم يُسخر في خدمة الشعب» لم تأت من فراغ كما
أسلفنا، بل تعود إلى بواغث فلسفية ومعرفية ودينية اشتهر
بها سموه، وميزته عن بقية القادة العاديين الذين قضوا فترات
طويلة في الحكم من دون أن ينجزوا شيئاً تذكرهم به الأجيال.

كلمات سموه في اللقاءات الرسمية وجولات العمل والزيارات
إلى المناطق المختلف في الاتحاد، لا تزال في ذهني تفعل





فعلها كبوصلة في جميع الأعمال، فبعد فترة من الإعلان عن قيام الاتحاد، وانهماك الوزارات بإنجاز المشاريع ووضع الخطط المستقبلية واستنفار جميع الطاقات، زار المنطقة الشرقية وكنت برفقته وزيراً للزراعة. لقد اطلع على أحوال الصيادين والمزارعين وتفقد آبار المياه والأفلاج، مؤكداً دائماً على ضرورة زيادة المساحات القابلة للزراعة من أجل زيادة الإنتاج وتوفير الحاجات الغذائية للناس. في تلك الجولة، بعد لقاء مع المزارعين والصيادين أمر رحمه الله بحفر عشرات الآبار بحثاً عن المياه الجوفية، وإصلاح الأفلاج في الفجيرة ورأس الخيمة، بالإضافة إلى إصلاح المكائن والمضخات المتعطلة، واتخذ قراراً بتوفير الميزانية اللازمة لهذه الأعمال انطلاقاً من كلمته الشهيرة حول ضرورة توفير خير المال في خدمة الناس.

في تلك الزيارة، ظهرت العلاقة الطيبة بين الوالد الشيخ زايد رحمه الله، وبين الفلاحين والصيادين والعاملين في مختلف الاختصاصات، حيث انبرى الناس من كل حذب وصوب إلى السلام عليه رحمه الله، وشرع كل واحد بالحديث عما يعانيه من صعوبات في عمله، وكان من اللافت دائماً أن جميع المشكلات التي يتم طرحها يقوم سموه بحلها مباشرة، فيتصل بالمسؤولين ويوصي بتوفير المطلوب من أجل تجاوز الصعوبات. لم يكن سموه يبحث عن مجد شخصي أو عن





ثروة، بل كان يركز دائماً على تحقيق مصلحة الناس ونقلهم إلى الحياة المتطورة الحضارية التي تجعلهم ينافسون جميع الشعوب المتقدمة.

من مآثر الوالد الشيخ زايد الخير رحمه الله وطيب ثراه، أننا مررنا في إحدى الجولات على واحة جميلة في أحد الوديان على الطريق، فطلب سموه التوقف والنزول إلى المكان لمعاينته واللقاء مع الناس هناك. لقد كانت دهشة أصحاب الأرض كبيرة وهم يرونه متقدماً بوجهه البشوش وهو يلقي السلام بكل محبة وود، وقد تفاجؤوا أكثر عندما أمسك إحدى أدوات الحفر الزراعية وراح يسوي التراب حول أشجار النخيل ويكمل ما كان الفلاح يفعله لحظة وصوله.

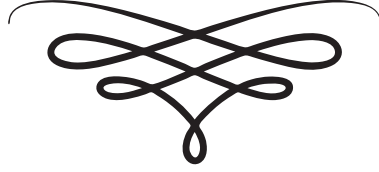
الجو في تلك الواحة كان رطباً والهواء عالياً، وقد جلسنا تحت الأشجار واستمع إلى حديث أهل المكان ورّبت على أكتاف الأطفال الصغار وشجعهم على العلم والدراسة. وبعد الجلوس تحت أشجار النخيل وتناول القهوة العربية وتبادل أطراف الحديث. أشار إلى الأراضي المرتفعة في سفح الجبل التي تسبق الصخور القاسية، وتساءل إن كان بالإمكان استثمارها وتوسيع مساحة الواحة لتصل إلى الريف الصخري، واستمع من المزارع إلى كيفية الوصول إلى ذلك وما هي التكاليف التي يتطلبها هذا الأمر، ثم وعده أن يتم تأمين كل المستلزمات من أجل القيام





بهذه الخطوة الضرورية لزيادة المساحة المزروعة.

كان الشيخ زايد رحمه الله، يحمل إيماناً كبيراً بالله ومصلحة الشعب، ويعرف بأن طريق البناء طويل ويتطلب الكثير من الجهد والصبر والعمل بإخلاص، وكان يشعر بأنه منذور لتحقيق هذه المهمة مهما بلغت الصعوبات. ونحن نغادر المزرعة باتجاه الموكب، قال لي سموه: «إن أمامي مشوار طويل كي أحقق الخير والرخاء لإنسان هذه الأرض، وما دامت العزيمة متحفزة فإن الطموحات لا تتوقف عند حدود».





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





مع زايد | ذكريات يرويها حمد بن محمد الشرقي





المحتويات

04	الرجال العظماء يصنعون التاريخ
13	الأب المؤسس المثل الأعلى
23	قال لي زايد..
29	أول اجتماع لمجلس الوزراء
45	أريد أن يتعلم كل أبناء الخليج
55	ازرعوا هنا نخلة وهنا غافة وهنا سدرية
65	استوي نفس أبوك
73	اعطوني زراعة أضمن لكم حضارة
83	الأمن الغذائي في الزراعة والثروة السمكية
93	الآن أعلم أنني ربحت
103	التعليم يعني بناء الإنسان





113	العلاقات الدولية
125	المرأة أم المجتمع
135	الدم العربي هو الأغلى
145	الثروات لا تبني بالأحلام
155	إلى العالمية بثقة
165	أين تقع إمارة أبو ظبي؟
175	بطل الأرض
187	بناء الإنسان يسبق بناء المصانع
197	غزو الكويت.. 2 أغسطس 1990
203	لا تفريط بالحقوق
213	لا خير في المال إذا لم يُسخر في خدمة الشعب





المكتب الإعلامي
THE MEDIAOFFICE
حكومة الفجيرة Government of Fujairah

حقوق الطبع محفوظة

المكتب الإعلامي لحكومة الفجيرة

هاتف: +97192222111

ص. ب.: (1) الفجيرة

media.fujairah.ae

تم بحمد الله



fujairah_media_offaice



FUJmediaoffice



fujairah mediaoffice



النسخة الالكترونية

